دور ثقافة مجتمع الصاغة فى نشأة الفنان إبراهيم مسعودة

د / أحمد زكريا (*)

(*) مدرس تاريخ العمارة والفنون كلية الهندسة جامعة عين شمس-قسم الهندسة المعمارية

مدخـــل

إبراهيم مسعودة هو واحد من أهم رواد مدرسة الحداثة المصرية فى التصوير وتقع لوحاته بين التعبيرية والسريالية، شارك اثناء دراسته فى كلية الفنون الجميلة ضمن جماعة الفن والحرية وأعتنق الكثير من أفكارهم التطلعية والتحررية، ولكن شهرته وريادته للفن المصرى المعاصر جاءت بعد تتلمذه على يد الأستاذ حسين يوسف امين ومشاركته كعضو فعال فى جماعة الفن المعاصر، إلا ان جزء عظيم ومهول من حياته الفنية وربما الكثير من لوحاته قد فقدت عبر سنوات من الجهل والتعتيم.. قليلة هى المعلومات الباقية والمتاحة عنه كما ان أى منها لا يذكر شيىء عن يهوديته–كذلك تظل طفولة مسعودة و المناخ الذى نشأ فيه الفنان الصغيروانتمائه لطائفة ييهود مصر القرائين وعائلة مسعودة وحى الصاغة وجذور أسرته التاريخية من الأمور الهامة والغامضة فى حياته والتى ربما بدراستها قد ينجلى شيىء كبير من العوامل المؤثرة على تكوين شخصية الفنان، أو على الأقل سيتم سد فراغات مبهمم فى حياته كطفل يهودى سيكبر ليصبح أحد رواد الفن المصرى المعاصر.

هدف الدراسة

تعتبر مؤلفات الفرنسى "إيميه آزار" هى المرجع الرئيسى لدراسة مدرسة الحداثة فى التصوير المصرى، إلا أنها لم تشير ليهودية "إبراهيم مسعودة"؛ إذ كان "آزار" ينتهج الإسلوب العلمانى فى سرده التاريخى، كذلك فى كل المراجع العربية والأجنبية الأخرى لا يوجد من بينها من تحدث عن الخلفية الدينية والمجتمعية لإبراهيم مسعودة، فى الحقيقة طمس هذه الخلفية كان متعمدًا لأسباب سياسية إرتبطت بفترة الخمسينات والستينات؛ ومن دون شك فهمنا

الواعى لتاريخ مسعودة كيهودى مصرى قرّائى والتعرف على عائلته اليهودية سوف يمنحنا رؤية أوضح عن السيرة الذاتية لحياة الفنان وبالأخص الجزء المتعلق بطفولته ونشأته والخلفية الإجتماعية التى خرج منها.

منهج الدراسة البحثية

فى ضوء الغياب الكامل لأى مرجع فنّى يشير أو يتحدث عن الخلفية اليهودية لمسعودة، فإن هذه الدراسة اعتمدت على المراجع والمؤلفات اليهودية ومطابقتها مع المعلومات البسيطة المتاحة عنه ضمن منهج تاريخى توثيقى، أما بالنسبة للتعرف على طفولة مسعودة وتكوين تصور عنها، فهذا النوع من السيرة الذاتية لم يكن متاح للباحث، لذلك اعتمدت الدراسةعلى المنهج الإستقرائى من خلال التعرف على اسلوب نشاة الأطفال القرائين فى مجتمع الصاغة ومناقشة تفرد الحالة الخاصة للطفل مسعودة و أسرته الصغيرة.

مقدمة

إبراهيم مسعودة أحد أهم رواد مدرسة الحداثة المصرية فى التصوير، كان "مسعودة" هو العضو الرابع لجماعة الفن المعاصر، بسبب ظروف الحرب والأزمات السياسية التى تلاعبت بتاريخ الدولة المصرية الحديثة اختفى اسم مسعودة من العديد من مؤلفات تاريخ الفن المصرى المعاصر، على الأقل المؤلفات العربية منها، بينما أسمه لا يزال يتردد فى كل المراجع الفرنسية باعتباره شريك أساسى وفعّال فى نهضة فن التصوير المصرى – وفى الحقيقة جزء عظيم ومهول من حياته الفنية وربما الكثير من لوحاته قد فقدت عبر سنوات من الجهل والتعتيم. قام الباحث بعمل أربعة دراسات أكاديمة حول "مسعودة" تغطى سيرته الحياتية، فترة مراهقته، وكذلك فترة نبوغه مع جماعة الفن المعاصر، بالإضافة لدراسة متخصصه حول أحد لوحاته الفنية "لوحة

الشيطان ملاك الليل الحارس" كما جمع معظم المادة العلمية والملاحظات التى دوّنها إيميه آزار" عن فنه ولوحاته؛ إلا أن هناك جزء غامض من حياة مسعودة يستحق الدراسة؛ تقريبًا فى كل مرحلة من حياة مسعودة وفى كل دراسة وجد الباحث أثرًا واضحًا وجليا لتأثير يهودية "مسعودة" على مساره الفنى– الكثير من الأسئلة الغامضة جدًا عن "مسعودة" وطلاسم فنه الذى صنّفها البعض بأنه سريالى أو ذو طابع غير مفهوم، "أبله" هكذا وصفه البعض– كان فى دراسة الخلفية الثقافية اليهودية إجابة واضحة وشافية عنه؛ واتضح من خلال الدراسات؛ ان أى عمل بحثى فنى أو تاريخى لحياة مسعودة وسيرته الفنية يتجنب الحديث عن هويته وقناعاته كيهودى– سوف يظل دومًا دراسة منقوصة؛ لذلك وجد أنه من المناسب جدًا بعد ان انتهى الباحث من الأبحاث الأربعة عن السيرة الذاتية والرحلة الفنية لمسعودة تخصيص هذه الدراسة لاكتشاف واستقصاء يهوديته؛ ربما كان من الجائز حينها تفسير هذه الجملة الغامضة التى ساقتها د. زبيدة عنه: **أراد أن يجعل التوراة موضوعًا للوحاته**"[١].

جزء كبير من عبقرية "مسعودة" وتفرده كحالة إنسانية وليس كفنان حداثى وحسب يشتمل على مذهبه الدينى؛ إلى جانب كونه مصرى قرائى، تلك الطائفة الدينية قليلة العدد بين يهود مصر؛ ذات التراث الفريد والمختلف تمامًا عن باقى الطوائف والجماعات اليهودية حول العالم هى دليلنا لاكتشاف عالم "مسعودة"؛ كذلك فإن كلمة "مسعودة"؛ التى قد يجد فيها المستمع العربى موسيقى مألوفه تتشابه مع جميع الكلمات والأسامى المصرية، فإن أى يهودى قرائى من زمن الفنان "مسعودة"، سيجد لها وقع مختلف تمامًا فى أذنه وقع أشبه

[١] **زبيدة محمد عطا:** "يهود مصر التاريخ الإجتماعى والاقتصادى"، عين للدراسات، القاهرة، ط١،٢٠١١، ص٢٦٥.

برنين المال وخشخشة الذهب– هدوء تجار الصاغة ذوى العيون اللامعة تختفى تحت عدسات مكبرة كبيرة معلقة فى رؤوسهم وهم يعاينون بضاعتهم فى صمت وهدوء والجميع ينتظر رأيهم وكلمتهم النهائية التى قد تحول الإرث العائلى إلى ثروة وسعد أو تسحقه تماما بأن تدعى أنه ذهب مغشوش!، منذ قرون مضت وربما من قبل زمن الفاطميين واليهود القراؤون يسيطرون على تجارة وصناعة الذهب والحلى ولكن منذ بدايات القرن التاسع عشر وعائلة مسعودة تسيطر على تلك الصناعة والتجارة القرائية وحتى منتصف القرن العشرين. كانت عائلة مسعودة من العائلات القرائية اليهودية القليلة التى كانت اسم على مسمى، فلقد ضمنت الثروة ورخاء الصاغة الكثير من السعادة والوفرة التى حظيت بها العائلة، ربما لم توفق هذه الدراسة فى الإجابة عن كل التساؤلات التى قد يتطلع لها الباحث حول طفولة الرسام إبراهيم مسعودة ولا نشأته فى السنوات الاولى من حياته، ولكنها تفتح الباب جيدًا أمام الأماكن التى يجب أن نبحث فيها التعرف على عالم طفولته وما هى نوع الأسئلة التى يجب على الباحث أن يطرحها؛ مثل: من هم يهود مصر القراؤون؟ من هى عائلة مسعودة؟ وأسرة الفنان إبراهيم مسعودة؟ ومحاولة توقع واستقراء كيف كانت نشأة الطفل القرائى وسط عائلة ثرية كمسعودة؟ واين يمكن لنا ان نجد الطفل مسعودة وسط تلك السيرة؟

١ – من هم يهود مصر القراؤون؟

العديد من الأشياء يمكن ان تقال عن اليهود القرائين والمصريين منهم خاصةً، تلك الطائفة الدينية قليلة العدد وسط مجتمع اليهود المصريين، ولكنها لم تكن باى حال قليلة الشأن، ربما على ميزان رؤوس الأموال والثروات التى حظى بها يهود مصر عامة قد يعتبر القرائين من الفقراء والمتوسطين إذا ما

قورنوا بالعائلات الثرية الصيارفة البنكيون مثل "عاداه" و"موصيرى" و"شيكوريل" و"سوارس" و"منشة" السكندريون. ربما لم تكن العائلات القرائية مجتمعة بما فيها عائلة "مسعودة" الثرية أن تنافس عائلة واحدة من عائلات اليهود الربانيين فى أمور الصرافة وتجارة البنوك المربحة ومع ذلك، احتفظ قرائى مصر بالصدارة والعراقة فى مجال الثقافة الفريدة من نوعها والتاريخ العميق الذى توارثوه لأجيال طويلة منذ زمن الفتح الإسلامى لمصر، وكان زمن الفاطميون هو أزهى عصورهم التاريخية.

١-١ المذهب القرائى ونشأته: كلمة قرائين مشتقة من لفظ "قرأ" أو "مقرأ" والمقصود بها "بنى مقرأ"[٢] أما مصطلح قرائى أو يهودى قرائى "*Karaite*" كما نعرفه اليوم فيعود إلى نهاية القرن الثامن الميلادى ومطلع القرن التاسع، والذى تزامن مع ظهور طائفة بنيامين الناهاوندى(Benjamin al-Nahawandi) [٣]، إذ لم تأخذ هذه الحركة الدينية تسميتها فى زمن تاسيسها "القرن الثامن " على يد "عنان بن داوود" والذى كان حبرًا يهوديًا ذا شأن فى بغداد فى عهد الخليفة العباسى "**أبو جعفر المنصور**" (٧٥٤م إلى عام ٧٧٥م) أى بعد نشأة الديانة اليهودية بحوالى عشرين قرنًا وبذلك تكون طائفة القرائين هى أحدث الفرق اليهودية جميعًا[٤]. لا يزال لهذه الفرقة أتباع كثيرون من اليهود في مختلف البلاد في العصر الحاضر ومنهم في اسرائيل الجزء المحتل من فلسطين[٥] وهي تناهض التلمود، وتدعو للاكتفاء بالتوراة. يقوم مذهب القرائية على التمسك بما جاء في العهد القديم وحده، وعدم الاعتراف بالتلمود وتعاليم الربانيين والحاخامات وهو ما تسبب فى خلافات عميقة بين الطائفتين منذ

[٢] **حسن ظاظا:** الفكر الديني اليهودي ص ٢٤٧؛ قاسم عبده قاسم ، اليهود في مصر ص٤٨.
[٣] Leon Nemoy: , Karaite Anthology p.xvii.
[٤] **على عبد الواحد وافى**: **"اليهود واليهودية"**، القاهرة، دار نهضة مصر، ط١، ص١٠٣.
[٥] **علي عبد الواحد وافي:** مرجع سابق ص ٨٤

نشأتهم، فترك القرائون العراق لحاخامات الربانيين وانتشروا فى فارس والأندلس والمغرب والدولة البيزنطية ومنها هاجروا لآسيا، كما أن هجرة كبيرة خرجت لفلسطين "الرملة" ومدينة القدس، وكذلك استقروا عدد كبير منهم فى مصر زاد فى زمن الفاطميين.

١-٢ خلاف القرائين مع اليهود الربانيين والتصادم بين الطائفتين: كان القراؤون يمثلون القلة بين اليهود وهم الطائفة الأحدث تاريخيًا، وأطلق (الربانيون) عليهم اسم الزنادقة الكفرة وأوصوا بالتنديد بهم في المعابد. كما قام القراؤون بفضح (الربانيين) والسخرية منهم حتى في تفسيرهم للكتاب المقدس[٦] وشكّلتا الطائفتين حربًا عنيفة على الطائفة الأخرى وبعد أن ألغى "عنان" جميع التشريعات التي قرّرها الربانيون مستندين في تقريرها إلى أسفار التلمود[٧] اشتد الصراع بين الطائفتين فأعلن رؤساء كل طائفة عن تكفير الطائفة الأخرى ونجاستها وحرمانها من رحمة الله تعالى واستقلت كل طائفة بمعابد خاصة بهم لا يسمح بها لغيرهم وحرّموا كل مشاركة دينية من أي طائفة مع الطائفة الأخرى[٨] ولقد استمرت الخصومة طوال تاريخ الطائفتين القديم وحتى العصر الحديث، فلقد علق مستشرق زائر إلى فلسطين فى القرن التاسع عشر فقال: "**حتى لو أراد أحدهم** (يقصد القرائين)**أن يتحول إلى اليهودية التلمودية فلن يقبل منه بل إن التلموديين مستعدين لقتل القرائين)**"[٩].

١-٣ لمحة عامة عن تاريخ يهود مصر القرائين: ربما تكون بداية تاريخ يهود مصر القرائين على قدر من الندرة وقلة التوثيق وربما تكون بداية جماعتهم فى

---

[٦] **أسود عبد الرزاق:** " موسوعة الأديان والمذاهب" ص ١٩٣

[٧] **علي عبد الواحد وافى**:"اليهودية واليهود"، ص ٩٥

[٨] **أسود عبد الرزاق،** مرجع سابق ص ١٩٣

[٩] **إبراهيم درويش**:" جعفر حسن، حول فرقة القرائين اليهود؛ الحلقة المفقودة بين الإسلام و اليهودية"، القدس الإسبوعى، المجلد ٢٦، العدد٧٩٤٣، نوفمبر ٢٠١٤.

مصر بنفس قدر الإزدهار الذى بلغته فى القرن الحادى عشر أو الثانى عشر[١٠] ولكن بالتأكيد كان العصر الفاطمى بمثابة فترة إندماج حقيقية ليهود مصر بالحياة السياسة العامة للدولة[١١]ووصلوا فى التّرقى فى مراتب هيكل الدولة إلى أن اختار منهم الخلفاء الفاطميون من شغل منصب وزيرًا. كان معظم القرائين يسكنون الفسطاط فى معقلهم القديم فى "حى المصاصة"، والذى كان يقع بالجهة الشرقية من قصر الشمع، واشتغل خلق كثير منهم فى صناعة وتجارة الحلى والذهب وسباكة المعادن ومن أعلامهم عائلة "التسترى"(al– Tustaris) الثرية التى وصلت لأعلى مراتب الحكم فكان منها الوزراء والمستشارين للخلافة الفاطمية[١٢]، سكن عدد من أثرياء القرائين فى القاهرة التى كانت محظورة سوى على رجال الدولة والخلافة وفى زمن الحاكم طردوا

[١٠] **Murūd al-Qudsï:** "The Karaite Jews of Egypt, 1882-1986), , P.3,31-32,56.**Mathilde Tagger of Jerusalem**:"Fargeon, M. Les Juifs en Egypte depuis L'origine jusque'a ce jour, Cairo,1938.P.143.
عدنان حسين احمد: فرقة القرائين اليهود للدكتور جعفر هادى حسن (ج٢)؛ ص١.**قاسم عبده:** "اليهود فى مصر"؛ ص١٠٨.

[١١] عرفة عبده على: "يهود مصر؛بارونات وبؤساء"، ص١٤١.

[١٢] **"كان الخليفة الظاهر الفاطمى قد اعتاد التعامل مع تاجر يهودى هو "أبو سعد إبراهيم التسترى" الذى كان يتاجر فى الجواهر والاحجار الكريمة والتحف التى كان الخليفة يهواها، وفى إحدى المرات اشترى الخليفة من التاجر اليهودى أمة سوداء جميلة فولدت له "المستنصر" الذى تولى الخلافة بعد وفاة أبيه وهو فى سن السابعة، وقامت أمه بتدبير شؤون الدولة حتى يبلغ إبنها سن الرشد".**
د.قاسم عبده قاسم: "اليهود فى مصر من الفتح الاسلامى وحتى الغزو العثمانى" قراءة فى تاريخ مصر الإجتماعى، ص١٣٤-١٣٥؛ **السيوطى؛ (٩١١هـ/١٥٠٥م):** "حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة"، الجزء الثانى، ص١١٧. **جعفر هادى حسن:** "تاريخ اليهود القرائين؛ منذ ظهورهم وحتى العصر الحديث"؛ ص٢٠١؛ **إبن ميسر؛ (٦٧٧هـ/١٢٧٨م):** " تاريخ مصر"، القاهرة ١٩١٩، ص٢-٥، **السيوطى:** "حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة"، ج٢، ص١٥٢-١٥٣؛ **ابن سعيد المغربى:** "النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة"، ص٣٥٨، **المقريزى:** "الخطط"، ج١،ص٤٠٥.

, USA,2nd Press 2006, P. ".. **Murūd al-Qudsï:** "The Karaite Jews of Egypt, 4.**Walter J.fischel:** *" Jews in the Economic and Political Life of Mediaeval* **Judith Olszowy-Schlanger:** "karaite **Islam",Vol-XII, Press 1937, PP.75-77.** Marriage Documents From Cairo Geniza", P.61-62, *After: Gil, 1981,pp.30-33, Fischel, 1937,p.75.*

من حارة "الجودارية" وأسكنهم فى حارة "زويلة"[١٣]ومنذ ذلك الوقت صارت معقلًا لهم واستمرت هجرة يهود الفسطاط لها فى زمن الأيوبيين والمماليك حتى عرفت بحارة اليهود وأقام القرائين بها أسواقهم للذهب والصرافات التى عرفت بحى الصاغة[١٤].

فى أواخر العصر المملوكى تدهورت للغاية أحوال القرائين مثل سائر يهود مصر وربما مثل باقى الطوائف المصرية حتى جاء الغزو العثمانى وأمّن الطوائف الدينية فى مصر؛ فزادت هجرة اليهود الربانيين إليها (وبخاصة الإسبان) ومن قبل فى آواخر عهد الفاطميين –كانت هناك حركة هجرة كبيرة قدد جاءت من المغرب والأندلس بقيادة زعيمهم الروحى الكبير؛ "موسى بن ميمون"، انكمشت الطائفة القرائية على نفسها طوال ٣٠٠ سنة عثمانية، وصارت تعرف ضمن جماعة "اليهود العاربة" أو "المستعربة" وهم يهود مصر الأصوليين، ثم جاءت الحملة الفرنسية ليتغير التاريخ بوصول محمد على باشا، الذى يقوم بحركة اصلاح اقتصادى وتحديث للبلاد، إلى جانب تأمين خطوط التجارة فى مصر والموانى، فعاد اليهود ليرتقون مناصب هامة فى البلاد كالترجمة وتقدير رسوم الضرائب وتحصيل الجمارك، إن تمكنهم من علوم اللغة ومعرفتهم بتغيير سعر صرف العملات الأجنبية إلى جانب اشتغالهم بالربا والفوائد البنكية والقروض والرهانات ساعدهم ثانية لتسلق درجات المجتمع المصرى خاصة فى ظل مساعدة كبيرة حظوا بها من الهجرات اليهودية المتعاقبة لمصر بعد افتتاح مشروع قناة السويس– ثم ما لبث ان ازدهر مجتمع القرائين بخطوات قصيرة مقارنة بمجتمع اليهود الربانيين الأكثر عددا و ثراءًا.

[١٣] **د.قاسم عبده قاسم:** "اليهود فى مصر من الفتح الاسلامى وحتى الغزو العثمانى"، ص١٣٦. عبدالرحمن زكي: القاهرة تاريخها وآثارها ص١٨. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ج٤ ص ٤٦١. فاروق عسكر، دليل مدينة القاهرة، الجزء الأول، سبتمبر أيلول ٢٠٠٢.

[١٤] **Murūd al-Qudsï:** "The Karaite Jews of Egypt, 1882-1986), USA,2nd Press 2006, P.20.

١-٤ يهود مصر القرائين فى زمن "مسعودة" (١٩٢٥-١٩٥٨): كان عدد اليهود القرائين فى زمن محمد على فى أفضل التقديرات قرابة الألف يزيدون قليلا أو يقلون قليلا، فلقد ذكر "كلوت بك" فى كتابه انه من بين حوالى سبعة آلاف يهودى يعيشون فى مصر يوجد حوالى ١٢٠٠ قرائى، أقام أغلبهم فى مدينة القاهرة[١٥]. بعد زمن طويل من الركود والانحسار للطائفة القرائية وخلال الربع الأول من القرن التاسع عشر حدثت حركة صحوة وانتعاش لمجتمع قرائين العصور الوسطى عندما هاجر أبناء الطائفة القرائية فى دمشق إلى القاهرة وكان من بينهم بعض قادة الطائفة فى سوريا ومنهم عائلة فيروز ذات الأصول الإيرانية[١٦]، إلى جانب بعض من يهود العراق مثل السيد "يوسف هاروفى البصرى(Youssef Harroe Bin El-Basri)؛ الذى سيصاهر عائلة ليشع ويتزوج السيدة "مسعودة" ليأسس واحدة من أقوى العائلات القرائية فى ذلك العصر.

ثم فى فترة الثمانينات عاد المجتمع القرائى ليطفوا ثانية فوق السطح كأحد مجتمعات الاقليات المصرية القوية بقيادة حاخامهم الجديد والقوى؛ "شبطاى إلياهو منجوبى"(Shabbethāi Elīyāhu Mangūbī)[١٧] الذى ترأس الطائفة فى عام ١٨٧٦، فاعترفت الحكومة المصرية بالطائفة القرائية فى عام ١٨٩٠ واستطاع الحاخام الجديد بناء صداقة مع اللورد "كرومر" المندوب البريطانى، كما أنه فى عام ١٩٠١ أسس المجلس الملى للطائفة القرائية،

[١٥] **كلوت بك؛** "لمحة عامة عن تاريخ مصر"،ج٢،ص١٤٠.

[١٦] كان من بينهم السيد موسى فيروز الذى استقر فى القاهرة وأنجب دانيال فيروز عميد عائلة فيروز القرائية فى مصر، **يوسف الجميل** اليهود القراؤون فى مصر(١٥١٧-١٩١٨)؛ ص٦٢٥، ص٦٠٦ (عن:لنداو؛ اليهود فى مصر(عبرى)صص٧-٧٩).

[١٧] **الحاخام "شبطاى إلياهو منجوبى"-(Shabbethāi Elīyāhu Mangūbī):** ولد الحاخام شبطاى فى تركيا وتعلم فيها (حيث وقتها كانت مصر جزءًا من السلطنة العثمانية)، اسمه منجوبى أى القادم من "منجوب" وهى مقاطعة فى تركيا.

وتعاون مع شاعر القرائين الكبير "مراد فرج ليشع" فى انشاء عدد من التنظيمات القرائية الدينية والمدنية، وبدعم مستمر من "عائلة مسعودة" وجدت الحداثة طريها لمجتمع الطائفة فظهر من بين ابنائها الأطباء والمحامون وأساتذة الجامعة- وفى فترة الحرب العالمية الثانية عندما أعلنت انجلترا حظر بيع وشراء الذهب داخل دول الحلفاء ولم تكن مصر مشمولة بذلك الحظر، صار سوق الصاغة القرائى هو المنفذ الوحيد لكل جنود الحلفاء الذين تجمعوا على الأراضى المصرية لشراء الذهب، نوعًا ما كان وضع مصر الآمن فى زمن الحرب، بمثابة فرصة حقيقية انتعش خلالها اقتصاد كل اليهود الهاربين من جحيم الحرب وأيضًا الذين اتخذوا مصر قاعدة إتصال للإستقرار فى فلسطين، لم يكن القرائين من بين هؤلاء ولكنهم بالطبع استفادوا من الفرصة المعروضة ولو على سبيل الإثراء- فاستطاعوا توفير كل الماديات اللازمة لمشروع معبدهم الكبير "موسى الدرعى "بالعباسية- واستمروا فى العمل على تحديث وازدهار مجتمعهم المصرى دون أى تفكير جدى أو حقيقى فى الهجرة؛ فلقد كان القرائين هم آخر من قفز من السفينة.

جاءت حرب ٤٨ ثم فى نفس العام وقعت تفجيرات حارة اليهود القرائية وبدأ الوضع العام لليهود المصريين فى التأرجح، ثم حريق القاهرة وثورة الضباط الأحرار٥٢، ثم انقلاب الضباط الأحرار على رئيسهم محمد نجيب ٥٤، ثم فضيحة لافون وقرارات التأميم ثم العدوان الثلاثى عام ٥٦، فى تلك الفترة كانت عائلة "مسعودة" الثرية ترى أن مصالحها واستمرارها فى قيادة مجتمع الطائفة صار من الصعب الجمع بينهما، كما أن مؤسسات الطائفة القرائية قد اكتسبت المزيد من القوة الإدارية وتستطيع أن تستمر فى قيادة الطائفة، فتركت الزعامة للسيد "جاك منجوبى" حفيد الحاخام الأكبر "منجوبى"، ورحلت عائلة مسعودة عن السلطة بينما استمر عدد من قيادات الطائفة فى محاولة تسيير أمور

الطائفة على أمل تحسن الأوضاع مثل "مراد القدسى" وبعض أفراد من عائلة القدسى وعبد الواحد وقلة متواضعة من عائلة"مسعودة"، ولكن اليأس تسلل للجميع بشكل تدريجى قبل صدمة حرب ٦٧، والتى انهارت بعدها الطائفة القرائية بسبب الفوضى والصراعات الدولية التى خلفتها الحرب والحشد الجماهيرى- وتشتت معظم قرائين مصر فى العديد من البلدان مثل فرنسا وأمريكا- ودول أوروبية وحتى فى إستراليا؛ واستطاعت الوكالة الإسرائيلية للهجرة أن تحتفظ لنفسها بالنصيب الأكبر- ليظل أكبر تجمع للقرائين فى إسرائيل.

٢- من هى عائلة مســـــعودة؟

يعود تاريخ هذه العائلة لمطلع القرن التاسع عشر والتى سرعان ما أثّرت وحقّقت النّجاح عبر تجارة ذهب الصاغة والمضاربات البنكية والإقراض والرهونات، كما أن وضع عائلة "مسعودة" اكتسب المزيد من الاستقرار عبر مصاهراتها وزيجاتها التى وطدت علاقتها بباقى العائلات القرائية الكبيرة مثل "ليشع" و"كوهين"- وربما سنجد بحلول منتصف القرن العشرين أو زمن حياة الفنان "إبراهيم ليتو مسعودة" أن عائلة مسعودة قد ارتبطت تقريبًا بكل العائلات والأسر القرائية مثل "مصلياح" و"درويش" و"شماس" و"مراد" و"مرزوق" وآخرون..بحلول تلك الفترة لم تعد عائلة "مسعودة" هى الأسرة الاكثر ثراءً وحظًا ("المسعودة") بل صارت البيت الثرى والقوى الذى ارتبط بصلة قرابة بباقى الاسر والعائلات القرائية، ربما يكون اسم مسعودة معروف لدى عدد من الفنانين المصرين وبعيد عن الدوائر القرائية المغلقة بفضل الخواجا "ليتو باروخ مسعودة"(Liéto Baroukh Massouda) صاحب توكيل شركة أوديون للإسطوانات والتسجيلات الصوتية؛ مكتشف ومحتكر صوت "أم كلثوم" طوال

نهاية العشرينات ومطلع الثلاثينات قبل انتشار الإذاعة المصرية.

٢-١ الموقف السياسى لعائلة مسعودة وسط مجتمع يهود مصر القرائين:

يمكن القول أن عائلة "مسعودة" الحاكمة لم تكن عائلة متسلّطه، كذلك لم تكن أبدًا متعالية على أبناء الطبقة المتوسطة والدنيا من أفراد مجتمع القرائين، توجد عدة حوادث يمكن أن نسوقها للدلالة على الدور القيادى الذى لعبته تلك العائلة فى مجتمع الطائفة؛من خلال لحظات نادرة وقليلة فى مجتمع الطائفة كان الخطر يحدق بها وتدخلت عائلة مسعودة لإنقاذ الوضع:

(أ) تحمل المسئولية الكاملة للطائفة فى تصرفاتها أمام الحكومة المصرية (إعدام يوسف البصيرى مؤسس عائلة مسعودة شنقًا)

كان الشيخ"يوسف البصيرى" مؤسس عائلة مسعودة المصرية وهو من أهل العراق وهاجر لمصر فى مطلع القرن التاسع عشر وتزوج بـ"مسعودة" من عائلة "كوهين"، فعرفت عائلته بهذا اللقب، كان موضع ثقة واحترام القرائين المصريين فجعلوه شيخ حارة اليهود القرائين؛ ثم ما لبثت ان أخذت سيرته الحياتية منعطفًا سيئًا عندما أعدم شنقًا وعلقت جثته فى مدخل حارة اليهود الصيارفة فى زمن محمد على باشا، القصة يرويها "مراد القدسى"، وقعت أحداثها فى النصف الاول من القرن التاسع عشر، فى ذلك الوقت فرض محمد على باشا مرسومًا يقضى بعدم تحصيل أى رسوم إضافية عند تغير العملة العثمانية وقتها؛"المجيديّة"[١٨]

وفى أحد الأيام عندما كان المحتسب عائدا من أداء صلاة الجمعة فى الجامع الأزهر، لاحظ تجمهر، وعندما سئل عن سببه، أخبر بأن بعض اليهود

[١٨] نسبة إلى السلطان العثمانى عبد المجيد.

قد كسروا مرسوم الباشا وفرضوا رسومًا على تغيرر العملة المجيديّة، وفورًا أمر بالقبض عليهم، فى ذلك الوقت كان معظم المشتغلين بتغيير العملات يزاولون أنشطتهم فى (حارة الصيارفة) أى حارة المشتغلين بالصرافة وتغيير العملات الأجنبية، كانت حارة الصيارفة هى مدخل حارة اليهود الربانيين من ناحية شارع الموسكى والذى كان يفضى إلى وسعة ميدان الجامع الأزهر.) وفى اللحظة التى استشعر فيها الصرافين بالخطر لاذوا جميعًا بالفرار، وطاردهم رجال المحتسب، وتم القبض على اثنان منهم وكانوا من الربانيين أما الثالث فنجح فى الفرار، قيل أنه كان من القرائين، وهرب إلى حارة اليهود القرائين موطنه، تصاعدت الأحداث وأخذ يهود الحارة القرائين فى الصراخ والعويل، وعندها نظر شيخ الحارة من نافذة منزله ليعرف ما يحدث بالخارج، وعندما شاهد رجال المحتسب، نزل لهم على الفور فأخبروه بالواقعة وهو بدوره أكد لهم تعهده بانه سيحضر القرائى الهارب إلى السلطات، وبسبب خوف رجال المحتسب من غضبة المحتسب، قرروا القبض على شيخ الحارة "يوسف البصير" (Yūsuf al-Baṣīr) والعوده به. وتم إعدام اليهود الثلاثة عند مدخل حارة الصيارفة[١٩]. من المؤكد أن تصرف الغريب يوسف البصرى قد رفع من مكانته فى وسط المجتمع القرائى وازداد ثقة وولاء اليهود القرائين نحوه إذ اعتبروه بطلًا ضحى بنفسه وقتل غدرًا، ولكنه لم يحظ بفرصة التمتع بتلك المكانة الطيبة فى حياته وانما حظى بها أولاده الخمسة، الذين شكلوا الفروع الخمسة لعائلة مسعودة القيادية وسط القرائين.

(ب) قيادة الطائفة قبل المجلس الملى وإقامة الحدود:

[١٩] **Murūd al-Qudsï:** "The Karaite Jews of Egypt, 1882-1986), USA,2nd Press 2006, P23,24.

ذكر أحد المعمّرين القرائين فى عام ١٩٤٨ عن ذكرياته لأواخر القرن التاسع عشر قبل انشاء المجلس الملى القرائى وحال الطائفة:

"لم يكن فى الأول مجلس ملّى ولا انتخابات، وكان الكبرا بتوع الحارة يجتمعوا مع بعض فى بيت السنيور وقلبهم على بعض وإن المعلم باروخ كان يقول إنت تدفع كذا وانت تدفع كذا؛ .. وإن لم يجمعوا المبلغ يقول حأدفع قدكم.. وإن الى كان يعمل ذنب ولا يولع نار يوم السبت .. يجلده فى وسط الحارة ويغرموه غرامة كبيرة... وانه بعد ذلك تركت الاغنياء الحارة وراحوا العباسية ومصر الجديدة وأنهم بيلعبوا قمار وبياكلو لحم خنزير.."[٢٠].

المعلم "باروخ" المقصود هنا هو "باروخ مسعودة" زعيم الطائفة القراية فى نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين– وربما هو أيضًا المقصود بوصف "السينيور" أو الحاخام الأكبر "شبطاى منجوبى".

(ج) التدخل ورأب الصدع عندما حاول بعض أعضاء الطائفة تدمير المجلس الملى:

بعد أن تشكل المجلس الملى الاول للطائفة القرائية عام١٩٠١، ونجح أعضائها فى تنحية خلافاتهم الجانبية التى استمرت لعقود وتفضيل المصلحة العامة للطائفة فوضعت اللائحة الداخلية لها وتم إقرار تنظيمات الطائفة الجديدة وتبرع الكبراء بالمال وقطعة أرض لتشيد الكنيس الجديد بالعباسية، كما تم تامين مصروفات المدرسة القرائية من خلال فوائد أرباح لوتارية اليانصيب– ثم كان أن قام كل من "فرج شماس" و"موسى منشه" بمحاولة الاستيلاء على مطبعة اللوتارية وطاردوا أعضاء الطائفة بالقضايا والدعاوى القانونية، كما اصطنعا

[٢٠] لا يوجد فى المرجع أى توضيح للشخصية صاحبة تلك الكلمات ومع ذلك فما من شك فى أصالة النص(المؤلف)، المرجع: د. زبيدة محمد عطا: "يهود مصر "، ص٨٤.

صحيفة خاصة تسمى"إظهار الحقيقة" للتشنيع على الطائفة وتعرض حاخام الطائفة للاعتداء من قبل رجال البوليس أثناء تنفيذ حكم قضائى بالحجز على ممتلكات الطائفة وقد اشتمل الحكم مبانى أوقاف الطائفة كمعبد "راب سمحاة" بحارة اليهود، جرت كل تلك الأحداث فى غياب الخواجا "باروخ مسعودة" وأولاده فى مصيف راس البر عام ١٩٠١، فترك "باروخ" إجازته وسرعان ما لحق به ولده "ليتو" للقاهرة، حيث تدخل وضغط على رافعى الدعوة ومارس سلطته فى محاولة صرفهم عن مسعاهم، طوال عام نجح فيه فى محاصرة ونبذ أصحاب الدعوى من حارة اليهود؛ كما أضعف موقفهم المالى والإجتماعى مما عزز موقف الطائفة التى اتحدت تحت قيادة مسعودة، فتم فسخ التعاقدات المالية معهم، كما نجح مسعودة فى إقناع اليهود الربانيين بعدم مؤازرة القرائين المنشقين، وفى النهاية تنازلوا عن دعواهم لصالح الطائفة القرائية[٢١].

(د) الرئاسة الدائمة للمجلس الملى وكل لجان الطائفة القرائية:

خلال كل المجالس الملية لطائفة القرائين سوف نجد اسم مسعودة حاضرًا، سواء المعلم "باروخ مسعودة"(Baruch Massouda) او ولده "ليتو بـاروخ مسـعودة"–(Lieto Baruch Massouda) أو السيد المحامى "خضر يافت مسعودة"(Khadr Yafith Massouda)[٢٢] و"إلى باروخ مسعودة"–(Eli Baruch Massouda)

(هـ) محاولة التقريب بين القرائين والربانيين:

تذكر السيدة "ميرلى كوهين مسعودة" عن جدها رئيس طائفة اليهود القرائين

[٢١] **مراد فرج ليشع:** "التهذيب"؛ الأعداد من ٢-١٢ الصادرة مابين ١٩٠١-١٩٠٢.
[٢٢] يوسف الجميل؛"يهود مصر القرائين"، ص٦١٩، (عن جريدة الكليم القرائية؛ السنة الخامسة ١٩٤٨، وكذلك الجميل، تاريخ اليهودية القرائية،ج١ ص٢٨٢،٢٨١،٢٦١).

"خضر يافت مسعودة "(Khadr Yafith Massouda):

بالرغم من كل المشاكل والأمور الشائكة التى جمعت ووحدت اليهود الربانيين والقرائين أو حتى تلك التى باعدت بينهم، إلا ان الحرب قد جعلت من جدى صديق مقرب من الحاخام الأكبر حاييم ناحوم، لقد كان الاختلاف الوحيد بين يهود مصر هو ما كان بين القرائين والربانيين، ولكن فى اوروبا تعلمت ان هناك اختلافات اكثر؛ فهناك اليهود الإشكيناز واليهود السفارديم، وفى إسرائيل لا يعتبرون القرائين من اليهود؛ " [٢٣]

لم يعترف النازيون بالقرائين ولم يعتبروهم ضمن جملة اليهود حتى عام ١٩٤٤ وهكذا منح عدد كبير منهم فرصة جيدة للهرب من المذابح النازية[٢٤]، ومن خلال موقع (خضر يافث مسعودة) أو ميترى خضر مسعودة كرئيس للطائفة؛ قام بتزوير العديد من الشهادات لصالح يهود مصر الربانيين تفيد بأنهم

---

[٢٣] **Mireille Cohen -Massouda:** "Les Musulmans Bleus," in *Une Enfance Juivie en Méditerranée musulmne,* ed. Leïla,pp.434-435.

[٢٤] عندما وضع قانون نورمبيرج(Nuremburg) المكافح لليهودية، كان هناك حوالى ١٨ قرائى كريامى يعيش تحت الحكم النازى هؤلاء القرائين تقدموا بإلتماس للإدارة النازية باستبعادهم من الوقوع تحت طائلة هذا القانون وفى النهاية ووفق على طلبهم: **فى الخامس من يناير تمت الموافقة على الإلتماس المقدم القرائين الكرياميين الألمان، حيث تلقى السيد سيرجى فون دوفان (*Serge von Douvan*) رئيس طائفة القرائين الألمان خطاب الموافقة من رئيس مكتب الرايخ لبحوث الأنساب"** ويضيف جرين فى دراسته الملاحظة التى دونت فى المرسوم النازى بالموافقة على الإلتماس بأن القرائين لا يمكن تمييز هم كيهود:

فيما يتعلق بالطلب المقدم من جانبك فى الخامس من سبتمبر و العاشر من أكتوبر من عام ١٩٣٨ لوزير الرايـــــخ لأمور الداخلية نحيطكم علمًا بالآتى:

.. لا ينبغى أعتبار الطائفة القرائية كطائفة دينية يهودية بالمعنى المقصود فى الفقرة رقم (٢)- نقطة رقم (٢) من الائحة الاولى لقانون المواطنة بالرايخ (المقصود قانون نورمبرغ)؛ ومع ذلك فإنه لا يمكن ان نعمم الحكم على كل القرائين بأنهم ينتمون لنفس الشريحة العرقية، حيث أن التصنيف العرقى للمواطن لا يمكن القطع فيه معتمدين فقط على إنتمائه لمجموعة معينة من الناس، ولكن عن طريق أجداده الأقربين والخصائص البيلوجية العرقية لديه"

Warren Paul Green: "Nazi Racial Policy Towards the Karaites", *Soviet Jewish Affairs* 8,2 (1978), P.37-41.

فى التاسع من يناير من عام ١٩٣٩ أعلنت وزارة الداخلية فى برلين ان " القرائين ليسوا يهودًا نظرًا لعدم امتلاكهم نفس السمات السيكولوجية التى للعرق اليهودى" ومع ذلك فقد استمر الجدل حول القضية القرائية فى صفوف النازيين حتى عام ١٩٤٤.

جاك حسون: "تاريخ يهود النيل"، ترجمة يوسف درويش،دار الشروق، القاهرة،ط٢٢٠٠٨ن ص١٢٣.

من ضمن الطائفة القرائية، وعن هذا تقول حفيدته السيدة ميرلى كوهين مسعودة:"**كانت شهادات مزيفة ولكنها منحتهم الأمل فى الحياة**".

(و) التوسط بين مجلس قيادة الثورة المصرية والطائفة القرائية:

لم يكن يهود مصر القرائين مرتبطين بالقصر الملكى أو حاشية الملك فاروق الاول مثل رجال الطائفة الربانية ومع ذلك؛ استشعر أعضاء الطائفة القلق والتوتر من الثورة، التى قد تتبنى موقف معادى ضد كل اليهود فيكون للقرائين نصيب منها خاصة أن القائمين عليها وقيادتها من قيادات الجيش المصرى، الذى منى بهزيمة كبيرة فى عام ٤٨ على يد اليهود الصهاينة، واعتبروا أن الملك وحاشيته هم سبب تلك الهزيمة فكانت الثورة عليهم. لم يكن بين يهود مصر القرائين من له خبرة وحنكة سياسية لذلك كانت المبادرة الأولى من الحاخام الأكبر ليهود مصر وعضو مجلس الأمة "حاييم ناعوم افندى" الذى أرسل برقية تهنئة إلى اللواء محمد نجيب بعد أيام قليلة من الثورة مؤكدًا على ان "**الحاخام الأكبر والطوائف اليهودية فى مصر يؤيدون الثورة ويرحبون من الرب أن يوفقها**"[٢٥]، بعد ذلك بأيام رد اللواء محمد نجيب ببيان أصدره حول أهمية الحفاظ على علاقات جيدة مع أهل الذمة، وفى يوم كيبور من عام ١٩٥٢ زار اللواء محمد نجيب معبد "شعار هاشيما" بشارع عدلى حيث استقبله الحاخام الأكبر "حاييم ناعوم"، ولأن القرائين يتأخر احتفالهم عن الربانيين، استغل "ليتو باروخ مسعودة" رئيس الطائفة القرائية وقتها تلك الفرصة وأقنع الحاخام الاكبر للقرائين "طوبايا بابوفيتش" بوجوب زيارة اللواء محمد نجيب فى مكتبه[٢٦]، و كانت الزيارة التى أكد فيها "مسعودة" للواء محمد نجيب على هوية

[٢٥] **الأهرام** ٣أغسطس ١٩٥٢.
[٢٦] **جوئل بنين:** "شتات اليهود المصريين"، ط٣، صص١٤٨-١٩٤٨.

القرائين المصرية وبعد مناقشة ودية، وافق نجيب على رد الزيارة إلى الطائفة القرائية، وهو ما كان فى ٢٥ أكتوبر من نفس العام حيث قام نجيب بزيارة المعبد القرائى فى حى العباسية حيث استقبله ليتو باروخ مسعودة والحاخام القرائى الأكبر وقام اللواء محمد نجيب بالتوقيع فى سجل الزائرين للمعبد مستهلًا توقيعه بالإعلان أنه: "**لا فرق بين اليهود والمسلمين والمسيحيين.الدين لله والوطن للجميع**"[٢٧]- كانت تلك الزيارة البارزة بمثابة آخر العلامات المضيئة فى تاريخ الطائفة القرائية قبل أن تختفى عائلة مسعودة من مشهد قيادة المجتمع القرائى.

٢-٢ الموقف الإجتماعى -الإقتصادى لعائلة "مسعودة" وسط مجتمع يهود مصر القرائين:

أهم ما امتازت به عائلة مسعودة بعيدا عن ريادتها لمجتمع القرائين وموقفها الزعامى طوال ١٠٠ سنة تقريبًا؛ هو استثمارها الجيد لثرواتها فى تعليم أبنائها الذى يمكن القول انه كان الاستثمار الأول لها، يمكن القول أنه ما من وظيفة مرموقة أو تعليم جامعى عالى تمتع به أى فرد من القرائين إلا وكان لعائلة مسعودة النصيب الوافر منه، فكان منها أطباء ومحامون ومهندسون ومقاولون وصيارفة وبنكيون ومهندسون زراعيون وفنّيون ومن تخصص فى دراسة علوم الشريعة والفقه اليهودى القرائى إلى جانب دراسته الحياتية فخرج منهم الأحبار والربيون وأيضًا رسام تخرج من أعرق مدارس الفنون الجميلة فى مصر؛ نذكر منهم:

فى مجال الطب: د.ألفريد مسعودة[٢٨] وولده د. روبرت مسعودة د.

[٢٧] **جريدة الكليم القرائية**، ١-١٦ أكتوبر عام ١٩٥٢.
Murūd al-Qudsï: "The Karaite Jews of Egypt, 1882-1986), USA, P10.

[٢٨] ورد اسمه فى عدد من صحف القرائين المصريين وايضا فى بروتوكولات المجلس الإدارى. يوسف الجميل (القراؤون فى مصر(١٥١٧-١٩١٨)؛)؛ص٦٢٠.

باروخ يوسف مسعودة أحد اكبر الاطباء الأمريكيين فى طب الباطنة[٢٩]– د. باروخ مسعودة، د. بنيامين مسعودة، طبيب العيون د. جمال يوسف مسعودة[٣٠]، والطبيبة فورتيونا مسعودة –د. جاكوب مسعودة، د.ليتو يوسف مسعودة ود. شالوم دانيال مسعودة[٣١] ود. وارن يعقوب مسعودة؛ د. يافث مسعودة ود. يوسف مسعودة وفى مجال الصيدة والعقاقير كانت هناك الصيدلة د. دنيا مسعودة[٣٢]. وكان مجال المحاماة هو ثانى مجال اهتمت به عائلة "مسعودة"، ففى ذلك الزمان كانت كليّه الحقوق هى المدرسة التى تخرج منها الوزراء والسادة وأعضاء مجلس النواب ومن أعلام عائلة مسعودة فى المحاماة: المحامى عباس يافث مسعودة الحاصل على ليسانس الحقوق من فرنسا وله مؤلفات فى القانون بالفرنسية[٣٣]، وبنويت (Benoit) مسعودة، وكذلك المحامى إليى مسعودة إبن المحامى القرائى جوزيف مسعودة، والمحامى خضر مسعودة (Khader Massouda)– الذى تمتع بمنصب قيادى بين القرائين المصريين[٣٤].

كذلك كان منهم من حظى بتعليم متميز بعيد عن الطب والمحاماة فى

---

[٢٩] فى عام ١٩٥٥ شغل منصب رئيس جمعيات واتحادات أطباء الأسنان فى ولاية "فيلاديلفيا"، وفى عام ١٩٥٦ زار القاهرة، روما و باريس وألقى عدد من المحاضرات العلمية حول طب الأسنان للمتخصصين فى تلك العواصم ووافته المنية فى يناير من عام١٩٨٦.

[٢٩] **Murūd al-Qudsï:** "The Karaite Jews of Egypt, 1882-1986, P.28.

[٣٠] **الكليم:** العدد رقم(٦٥)- القاهرة، ١٦-أكتوبر سنة ١٩٤٧، ص٦.

[٣١] **محمد أبو الغار:** "يهود مصر من الإزدهار إلى الشتات؛ ص٥٠، نفس هذه الملاحظة سوف نجدها فى مؤلفات المؤرخ عرفه عبده عن يهود مصر، والأرجح انها مأخوذه عنه.

[٣٢] The Karaite Families, Les Fleurs de l'Orient, after : Farhi Orgnization. MyHeritage, Family tree for "Massouda Family"

[٣٣] **Abbas Yafit Massouda**: "Contribuion a l'Etude du Wakf en droit Egyptien"- Paris, 1925.
يوسف الجميل؛ مرجع سابق، ص٦١٩، (عن جريدة الكليم القرائية؛ السنة الخامسة ١٩٤٨، وكذلك الجميل، تاريخ اليهودية القرائية،ج١ ص٢٨٢،٢٨١،٢٦١).

[٣٤] **Mireille Cohen -Massouda:** "Les Musulmans Bleus,pp.434-435.

مجالات أخرى كالهندسة مثل المهندس جبر او جبرائيل مسعودة[٣٥]، والمهندس حبيب يوسف مسعودة؛ مهندس حربى فى البحرية الملكية البريطانية[٣٦] أو فى علوم الدين والشريعة كالحبر إيمانويل مسعودة (Rab. Emmanuel Massouda) الذى صار الحاخام الأكبر ليهود إسرائيل القرائين[٣٧].

٢-٣ رحلات الريف ومصيف رأس البر ودورهما فى تشكيل المخيلة المحبة للطبيعة عند مسعودة:

هذا الجانب من حياة عائلة مسعودة من الصعب تجاوزه؛ خاصة لو كانت دراستنا لتلك العائلة بغرض التعرف على الخلفية المجتمعية التى جاء منها الفنان "إبراهيم مسعودة" وكيف كان لها الدور الكبير فى تشكيل طفولته، فبسبب تفرع وكثرة أبناء العائلة حرص كبارات العائلة دومًا على استغلال كل الفرص والمناسابات المتاحة لكى يجتمع أفراد العائلة معًا، فبعيدًا عن حفلات الشاى والخطوبات والزيجات ذات الطابع المتحفظ؛ أو حتى المناسبات الدينية، كان زعماء عائلة مسعودة يحرصون على جمع شمل أبناء العائلة بشكل سنوى فى صورة رحلات جماعية تنظمها العائلة للريف المصرى خلال عطلة شم النسيم فتتعمق العلاقات بين أبناء وبنات الجيل الجديد إلى جانب رحلات المصيف التى تخرج فيها أسر عائلة مسعودة فى شكل مجموعات، وكان مصيفهم الرسمى فى رأس البر والإسكندرية .

[٣٥] عرفه عبده على: ملف اليهود فى مصر الحديثة، مكتبة مدبولى، القاهرة ص١٢٩.

[٣٦] **Murūd al-Qudsī**: "The Karaite Jews of Egypt, 1882-1986", USA, 2nd Press 2006, P. 28-29.

[٣٧] كان أول حاخامات مجتمع اليهود القائين فى اسرائيل هو "إيمانويل بن موشى مسعودة"(Emmanauel Ben Moshe Massouda) وهو يهودى مصرى هاجر منها فى عام ١٩٤٨ واستقر فى مستوطنة موتشاف متصلياح (Moshave Matsliah) وصار الحاخام الأكبر ليهود المجتمع الجديد حتى عام ١٩٦٤ و لكنه ترك منصب الحاخامية بسنوات قبل وفاته؛ اذ توفى فى ١٥ نوفمبر من عام ١٩٧٢، وخلفه فى المنصب الحاخام يوسف بن موشى مرزوق(Yosef Ben Moshe Marzouk).
Moshe Firrouz: "The Karite Jews in Egypt", A symposium held at Bar-Ilan university- Tel-aviv, on May 2-2013.

خلال هذه الرحلات تكونت شخصية مسعودة الفنية المحبة للطبيعة، فبالنسبة للطفل الذى نشأ فى مدينة القاهرة بعمائرها المكتظة وحارتها الضيقة، كان مشهد الريف الممتلىء بالخضرة ذو الأفق الواسع الممتد من حوله مثل بساط أخضر ملىء بالبهجة من أكثر المشاهد التى استثارته والتى لم تقل عن مشهد البحر الممتد أمامه بلا نهائية والشاطىء الذهبى يرسم حدوده.

بالنسبة للريف فمن دون أدنى شك كان أكثر الاشياء التى استوقفت الطفل مسعودة هى تلك العلاقة الغريبة والصداقة التى جمعت بين إنسان الريف والحيوانات المستأنسة التى لا تعيش معه وإنما تشاركه حياته اليومية؛ فكرة الحيوان كشريك للإنسان وليس خادم وتابع له سوف نجدها تقريبًا فى أغلب لوحات مسعودة؛ هذه الظاهرة يصفها مسعودة الفنان الناضج:

"**فى الأرض التى زرعت ..ما زال الحيوان الأليف الهادىء يسعى مع الإنسان ليكمل دورة الحياة التى تتجدد مع كل مشرق شمس، لم يتغير هناك أى شيىء ..لم يتغير أى شيىء .. من الأرض الخضراء أو .. الفلاحة مربية الدجاج، .... وإذا تخيلنا شاعرًا جوالا ومعه نايه الصغير وانطلق فى القرى والمراعى وعلى ضفاف الترع وبين المزارع وسكن يومًا تحت سقف الذرة– وسكن يومًا آخر تحت السماء الزرقاء، وقابل فى الطريق هذا الحيوان الوديع الآليف وشرب يومًا من الجرّة السوداء وآخر من الترعة الجارية ..**" [٣٨]

ربما كانت قدرة مسعودة عن التعبير بالرسم أقوى من كلماته المضطربة تحاول صياغة أفكارة المتدفقه ولكنها دومًا تسترجع داخله ذكريات الريف المصرى الذى شاهده "مسعودة" وعايشه خلال رحلات شم النسيم فى طفولته

[٣٨] **إبراهيم مسعودة:** كتيب معرض جماعة الفن المعاصر١٩٤٨ (المعرض الثانى)- مجموعة خاصة لدى أسرة عبد الهاى الجزار -القاهرة.

وحتى فى مراهقته[٣٩]، أما بالنسبة لاستدعاء ذاكرة الفنان "إبراهيم ليتو مسعودة" لمصيف راس البر الذى امتلأت جرائد اليهود القرائين بوصف رحلاته والتهنئة بعودة عائلة مسعودة منه[٤٠]، فإننا قد نجد لمحة عن هذا المصيف فى لوحة مسعودة **"سيدة متكئه على جاموسة"**[٤١]، حيث يقدم مسعودة شكل الشاطىء الكبير المنبسط بينما البيوت صغيرة متواضعة ومبنية من القش، تمامًا مثل أخواص مصيف راس البر، وإن اصر مسعودة على إبرازها بمزيد من التواضع فبدت أقرب لخيام الهنود الحمر الأمريكية وفى الخلفية تظهر زرقة البحر الممتدة تعكس زرقى سماء الشاطىء الصافية، كذلك توجد لوحة أخرى لمسعودة استدعى فيها ذاكرة المصيف بعنوان "**حمار من بلطيم**"[٤٢].

٣-أسرة الفنان إبراهيم ليتو مسعودة

جده الأكبر هو المعلم "إلياهو مسعودة بن البصرى بن يوسف هاروفى" (Eliahou Massouda Bin El-Basri Youssef Harroe)؛ وهو من

[٣٩]امتلكت عائلة ليتو باروخ "مسعودة" عزبة كبيرة من آلاف الأفدنة بالقرب من المحلة الكبرى.. ينسب المحامى يوسف درويش لتلك العائلة الفضل فى إكتشاف المغنية أم كلثوم **:.."كانت أم كلثوم وهى لا تزال صغيرة للغاية (طفلة) تعمل فى تلك الحقول مع الآخرين فى جنى القطن، وكانت تردد بعض أغانى بصوتها الجميل، مما استرعى انتباه أحد أفراد تلك العائلة الذى كان يتجول آنذاك فى الحقول، وهنا اهتم بها اهتمامًا بالغا وجاء بها إلى القاهرة وقدمها لشركة "أوديون" لتسجيل وبيع الاسطوانات"** كان ليتو باروخ مسعودة هو رئيس طائفة اليهود القرائين وكان على راس من استقبل الرئيس محمد نجيب فى زيارته لمعبد موسى الدرعى فى عام ١٩٥٢..صاحب الرواية هو المحامى يوسف درويش عن: مقدمة المترجم يوسف درويش لكتاب "يهود النيل،" من تأليف جاك حسون، القاهرة دار الشروق، الطبعة الثانية٢٠٠٨، ص١٥...
.BASSATINE NEWS ISSUE No. 12

[٤٠]على سبيل الذكر لا الحصر ما جاء فى جريدة التهذيب: **:"عاد بالسلامة حضرة الخواجة ليتو باروخ البنكير الشهير من جهة راس البر مع عائلته الكريمة فنهنيه بسلامة الوصول ولعله يكون قد نال من الرياضة وترويح النفس ما سافر من أجله"**؛ التهذيب: العدد(٢)-١٥-أغسطس-١٩٠١، ثم ما أن وصل القاهرة ليستدعى إبنه من نفس المصيف: **"وصل إلى مصر بالسلامة ولله الحمد جناب المحترم الخواجة باروخ نجل الماجد الخواجا ليتو باروخ مسعودة مع عائلته الخصوصية من جهة راس البر فيهنئه التهذيب ويرحب به"** التهذيب، العدد ٣، ٢٢أغسطس ١٩٠١. ص١١.

[٤١] **إبراهيم مسعودة:** "لوحة سيدة متكئة على جاموسة"،١٩٥١، -ألوان زيت على القماش،من مقتنيات متحف الفنون الجميلة الإسكندرية.

[٤٢]**إيمه آزار؛ ترجمة إدوارد الخراط :**"التصوير الحديث فى مصر حتى عام ١٩٦١" ط٢، المركز القومى للترجمة؛ القاهرة٢٠٠٩، ص١٠٢.

يهود العراق القرائين ربما من البصرة أو من هيتى (Hit) معقل القرائين العراقيين[٤٣]، وربما مع حالة الإنفتاح الكبير التى أقامها الوالى محمد على باشا وتامينه للرعايا الأجانب وإلتزامه القوانين المليّة العثمانية؛ هاجر المعلم إلياهو من العراق ليستقر فى مصر[٤٤]، وهو يعتبر أحد كبار أصباط عائلة مسعودة المصرية.

كان "يوسف بن هاروى" أو "يوسف بن هاروفى البصيرى"(El-Basri Youssef Harroe)- من مواليد العراق عام١٨١٠ وهاجر إلى مصر واستقر فيها وتوفى فيها عام١٨٥٠[٤٥] مشنوقًا على يد رجال المحتسب، وعلّق جثمانه على مدخل حارة اليهود، فى نهاية ثلاثينات القرن التاسع عشر تزوج

[٤٣] يعتبرمجتمع يهود هيتى (Hit) فى العراق أحد أقدم وأعرق المجتمعات القرائية التى تعود بتاريخها لفترة العصور الوسطى (القرن العاشر) والذين وبسبب انعزاليتهم حافظوا على العديد من العادات والطقوس القرائية وامتاز مجتمعهم بتفرده عن باقى القرائين فى الشرق، خلال نهاية القرن التاسع عشر زارهم الحاخام الكبير "إبراهام فروكوفيتش"(Abraham firkovich) وقدر عددهم ٦٧ قرائى، فى عام ١٩٦٠ ومع تسارع الحرب العربية الصهيونية، رحلت ١٣ عائلة من القرائين العراقيين بالطيران تجاه إسرائيل حيث تم توطينهم فى مستوطنة "بير شيفا" (Be'er Sheva) فى جنوب فلسطين المحتلة و"أشدود" و"الرملة" (مقر الحاخامية القرائية الكبرى) وهناك انخرط معظمهم بقرائى المجتمع اليهودى المصرى وتصاهروا وبذلك فقد المجتمع العراقى هويته العرقية التى حفظتها انعزاليته طوال قرون مضت.

jewish Race", Wayne State uni, Press 1989, P.329. **Jennifer patal:** "The myth of **E. Goldschmidt, K. Fried, A. G. Steinberg, T. Cohen:** " The Karaite Community of Iraq in Israel: A Genetic Study", Am J Hum Genet 28, Press 1976, P.243. **Mikhail Kizilov:** "Karaites and Karaism: Recent Developments",Center 2006 .Conference, Vilnius, Lithuania.P.2

Mourad El-Kodsei: "The karaite Communities in Polandm Lithuania, Russia and .Crimea" (Lyons),Press 1993,P.7

فى عام ١٨٦٩ كان هناك ٢٠ عائلة قرائية تعيش فى "هيت" العراق، و بحلول عام ١٩٥١م لم يتبقى منهم سوى ١٣ عائلة، العدد الدقيق ليهود العراق القرائين الذين هجّروا إلى إسرائيل غير دقيق ومتوفات فى معظم المراجع؛ فيذكر جاك حسون: **"لقد اقتلع القراؤون من جذورهم... العراقية (حيث كان يعيش ما يقرب من مائة قرائى)" جاك حسون؛ ترجمة يوسف درويش:** "تاريخ يهود النيل"، دار الشروق؛ القاهرة٢٠٠٨، ط٢؛ ص١٢٨.

[٤٤] The Karaite Families, Les Fleurs de l'Orient, after : Farhi Orgnization. MyHeritage, Family tree for "Massouda Family

[٤٥] The Karaite Families, after : Farhi Orgnization, ID: I1284 , F F916,*updated in 15 Jan 2010.*

بالسيدة"مسعودة" من عائلة إليشع(Elichaa Massouda)[٤٦]؛ وهكذا تأسست عائلة مسعودة المصرية. إذ أسفرت هذه الزيجة عن خمسة من الأبناء "الذكور"صاروا هم أسباط عائلة مسعودة الكبيرة التى حكمت طائفة اليهود القرائين المصريين لقرن من الزمان.

من المرجح ان يوسف بن البصيرى اشتغل فى مصر بالتجارة والإقراض مثل باقى القرائين، إلى جانب شياخته لحارة اليهود القرائين، كما أن مصاهرته لعائلة ليشع القرائية المصرية قد عززت لديه فرص العمل فى الصاغة، وهى المهنة التى توارثها أبنائه من بعده واتجه كل منهم لبناء نشاطه وتجارته الخاصة المرتبطة بمجتمع صاغة القاهرة، اتجه المعلم باروخ مسعودة للتجارة والعمل فى الصاغة واستطاع تكوين ثروة حقيقية ساعدته فى السيطرة على مجتمع يهود مصر القرائين وزعامتهم. هذه الزعامة انتقلت منه إلى ولده "ليتو باروخ" الذى اشتغل فى أمور صرافة العملات والتجارة البنكية والإقراض، ثم من بعده حفيده "باروخ" الذى هو بمثابة أحد أعمام الفنان "إبراهيم مسعودة".

بالنسبة لتجارة الذهب وأعمال الصاغة تقريبًا كل أبناء عائلة مسعودة الخمسة إشتغلوا فى هذا النشاط، ولقد ساعد كونهم جميعًا من الذكور على الحفاظ على رأس مال العائلة وتوارثه فيما بينهم، ربما هذا ما يفسر الثراء الشديد الذى تمتعت به عائلة مسعودة، وكان من أعلامهم فى هذا المجال الولد البكر ليوسف هاروفى؛ "المعلم إلياهو مسعودة"(Eliahou Massouda)[٤٧] .

---

[٤٦] **السيدة "مسعودة" إليشع(Elichaa Massouda)**؛ مصرية من مواليد القاهرة١٨٢٥ وتوفيت فى عام١٩١٨ عن عمر يناهز ٩٣ بعد أن صار لها قرابة المئة حفيد وشكلت عائلة مسعودة القرائية الشهيرة؛ والدها السيد "يوسف إليشع" (Elichaa Youssef) ولد فى القاهرة قبل الغزو الفرنسى عام ١٧٩٥، ووالدتها هى الست "قمر" من عائلة "الأفرنجى"(El Afrangui Kamar)؛ قاهرية من مواليد عام ١٧٩٠.
The Karaite Families, after : Farhi Orgnization, ID: I1285 , F 187 / F F916,*updated in 2 Mars 2016.*

[٤٧] - **The Karaite Families, after : Farhi Orgnization**, ID: I1287 , F F916 / F F815 F918,*updated in 2 Mars 2016.*

٣-١ المعلم إلياهو مسعودة الجد الأكبر للفان :

اشتغل إلياهو بتجارة وتشغيل الذهب إلى جانب الإقراض والرهونات، وكان أحد أكبر الكيانات فى عائلة مسعودة باعتباره الجد الاكبر وعميد العائلة من بعد وفاة "يوسف هاروفى"، تزوج الثرى إلياهو مرّتان[٤٨]الأولى كانت قبل عام ١٨٥٠ من السيدة "حسنى قمر"(Hosna Kamar) – وهى الجدة الكبرى لإبراهيم مسعودة، والتى أنجبت للمعلم لإلياهو ١٧ ولدًا بين ذكور وإناث وكان أحدهم هو الصائغ "فرج مسعودة"(Farag Massouda)، والذى ورث شيىء من تجارة والده إلياهو، وللمعلم إلياهو زيجة أخرى من السيدة "وردة سليمان"(Warda Soliman) فى عام١٨٦٨– حيث كانت شريعة القرائين لا تحرم تعدد الزوجات طالما كان رب الأسرة ميسور الحال وقادر.

٣-٢ الصائغ فرج مسعودة (الجد):

هو فرج مسعودة بن المعلم إلياهو(Farag Massouda) من مواليد عام ١٨٥٠، ورث عن والده حرفة الصاغة والإتجار باذهب والمجوهرات وكان له محلات مجوهرات فى ٦١ شارع السكة الجديدة[٤٩]، فى عام ١٨٧٠ تزوج من السيدة "نيللى كوهين"(Nelly Cohen)–(١٨٦٠–١٩٣٦)– وأنجب منها ١٢ ولدًا؛ هم:"دافيد" (David) ١٨٧٥، و"روجينا" (Regine) ١٨٧٩، و"فكتوريا" (Victoria)١٨٨٠، و"ماتيلدا" (Mathilda)١٨٨٠؛ والسيدة "إستير" (Esther)١٨٨٠، "فورتيونا" (Fortunee)، "إبراهيم" (Ibrahim)١٨٨٤، "د. يعقوب مسعودة" (Dr. Yaacoub Massouda)١٨٩٤، "ماريا" (Marie)١٨٩٤، السيدة "فلورا"(Flore)١٨٩٨،

[٤٨] **M. al-Qudsi:** "The Karaite ", USA,2nd Press 2006, P; 76.
[٤٩] **عرفه عبده على**: ملف اليهود فى مصر الحديثة، ص١١٣.

"ليتو فرج مسعـودة" (Lieto Farag Massouda) ١٩٠٠وهو والد الرّسام، د.باروخ مسعودة(Dr. Baroukh Massouda)١٩٠٧[٥٠].

إن نظرة سريعة لأسرة الجواهرجى فرج مسعودة سوف تظهر أن إثنان من أبنائه حصلا على شهادة بكارليوس الطب وإتجها للعمل بعيدًا عن الصاغة، كما ثلاثة أرباع ذريته كانت من البنات البعيدات أيضًا عن مجتمع الصاغة، وفى ظل غياب معلومات دقيقه عن أبنائه من الصعب استقراء حياتهم أو توقّعها ولكن المؤكد أنها كانت حياة ثرية تسمح بتعليم أبنائها الطب؛ فالكثير من اليهود القرائين حصل على شهادته العليا فى الطب من إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة فى تلك الفترة.

٣-٣ ليتو فرج مسعودة (الوالد) ومدام راشيل كوهين (الوالدة):

كان ليتو أحد الابناء الصغار للصائغ فرج إلياهو مسعودة، ولد ليتو فى عام ١٩٠٠ وكانت وفاته بالقاهرة عام ١٩٦٥؛ فى السادس من يونيو من عام ١٩٢٠ تزوج ليتو مسعودة بالسيدة راشيل من عائلة كوهين ووفقا لصورة فوتوغرافية لتجمع أفراد عائلة مسعودة فى منتصف الثلاثينات وظهر فيها الأبوان "ليتو مسعودة" والسيدة" "راشيل كوهين" وبينهما الطفل "إبراهيم ليتو مسعودة"، فإنه من المؤكد أن الكثير من ملامح وطباع الأم قد اكتسبها الفنان الصغير عن والدته، فى الصورة يظهر ابراهيم مسعودة ذو الأعوام الإثنى عشر وهو يقف بين أبويه بعيدًا عن المكان الذى تجمع فيه الصبية الصغار وربما كان كل من أخواه الصغيران "فرج"(١٩٣٠-٢٠١٢) و"توفيق"(١٩٢٦-١٩٤٢) جالسون وسط الأطفال ولكن مسعودة فضّل أن يقف مرتديًا سروالاً قصيرًا بين الكبار- يعتقد علماء النفس أن شخصية الإنسان تتكون فى السنوات السبع

[٥٠] **The Karaite Families, after : Farhi Orgnization**, ID: I1583 , F F815 / F F827,*updated in 2 Mars 2016*.

الأولى من عمره ثم خلال فترة الطفولة المبكرة تزداد وضوحًا، أما ما تلى ذلك من سنوات فتزداد فيها الشخصية وتتطور تبعًا للخبرات والتجارب التى يكتسبها الإنسان– الثقة الكبيرة بالنفس وقوة الشخصية مع الرغبة الدائمة فى التعلم واكتساب المهارات والخبرات هذه هى السمات التى أظهرها مسعودة أثناء محاورته لمحرر الكليم فى مرسمه [٥١] وهى نفس الصفات التى قد نستقرئها فى الصورة التذكارية لعائلة مسعودة إلى جانب أنه كان طفل ذكى ومشاغب ذو ملامح جميلة بين أقرانه.

من الواضح ان أسرته وربما مسعودة نفسه سيكتسب حالة من الحزن التى ستلازمه طوال سنوات الأربعينات بسبب مشاكل الطائفة القرائية عامة وبسبب حدث خاص سيصيب أسرته اثناء دراسته للفنون الجميلة إذ يتوفّى أخوه الأصغر"توفيق" فى عام ١٩٤٢؛ ولكن تلك الفترة من حياة مسعودة تعود لمرحلة المراهقة و الشباب[٥٢] حيث كان "مسعودة" يتخذ قراراته بنفسه ولنفسه؛ ولكن بالنسبة لطفولة مسعودة التى تكونت شخصيته فيها فمن المتوقع – ان تكون بعض القرارات قد إتخذتها اسرته له– ومن المناسب جدًا للتعرف على تلك النشاة أن نحاول استدعاء الصورة التربيوة لمجتمع الصاغة القرائى.

٤ –كيف كانت نشأة الطفل القرائى وسط عائلة ثرية كمسعودة؟

منذ زمن ويهود مصر القراؤون يتوارثوون مهنة تجارة وصناعة الذهب– إذ كانت تلك هى حرفتهم الأساسية منذ مئات السنوات هذه المهنة مثل باقى المهن كانت لها طبيعتها الخاصة– أو تلك الأمور التى تسمى بأسرار المهنة أو

[٥١] **الكليم؛** مقال بعنوان:"الفنان إبراهيم مسعودة"، العدد ٢٢٢، اول مارس ١٩٥٥، ص٤.
[٥٢] **أحمد زكريا:** الفنان إبـــراهيم ليتو مسعودة؛ أحد مؤسسى مدرسة الحداثة المصرية فى التصوير؛ دراسة غير منشورة، ص٢.

الصنعة وهو تراث شفهى متعلق بالصنعة وخبرة التجارة والسوق يورثه رب تلك الصنعة لخليفته من بعده، ولقد كان القراؤون أحرص ما يكون من فئات صياغ مصر على كتمان أصول تلك الصنعة خفية عن أى أجنبى أو خارج عن طائفتهم.

٤-١ القراؤون يستخدمون العبرية كلغة صنعة للحفاظ على سرية الصاغة عن باقى المصريين:

اللغة الرسمية التى كان اليهود القراؤون يتعاملون بها فى حياتهم اليومية داخل وخارج منازلهم كانت العربية، والحقيقة ان العربية كانت مفضلة جدًا لدى القرائين[٥٣]، حتى انهم جعلوا اغلب مؤلفاتهم الأدبية والدينية بها كما كانوا يقرضون الشعر[٥٤]والزجل بها[٥٥]، أما العبرية فكانت لغة التوراة اللغة المقدسة

[٥٣]كان القرّائون أكثر اختلاطًا بالمصريين من غير اليهود؛ هذا الاختلاط لم يقتصر على حسن الجيرة والعلاقات الطيبة بل بلغ درجة من الامتزاج الثقافى من غير الممكن تجاهلها؛ إلى حد أنه كان من الصعب التعرف على هوية القرائى الدينية ما لم يعلن عنها، لم تكن للقرائين لكنة كلامية مميزة كما كان لليهود الربانيين، وكانوا متبنين للثقافة العربية ويستخدمون العديد من الكلمات والجمل العربية على نحو لم يكن بقية يهود مصر يتبعونه.
Murūd al-Qudsï: "The Karaite Jews of Egypt, 1882-1986), USA,2nd Press 2006, P164
يذكر جاك حسون وهو من اليهود الربانيين عن ثقافة القرائين العربيةوالذى ترجم مؤلفه المحامى القرائى يوسف درويش : **"إن القرائين شديدو التمسك باللغة العربية، ويقع مكانهم- فى نظر المصريين- فى موقع ما بين الربانيين والمسلمين، وكأقلية ضمن الأقلية"-جاك حسون:** "تاريخ يهود النيل" ترجمة يوسف درويش، دار الشروق، القاهرة،ط٢،٢٠٠٨، ص١٤٧.. أما مراد فرج ليشع فيفسر ظاهرة إنتشار العربية بين القرائين على حساب العبرية وجهل عوام القرائين باللغة العبرية وان العربية كانت ثقافتهم الاساسية فيقول:**".. ان المؤلفات العبرية نفسها قليلة المنفعة بالنظر إلى كثرة الجاهلين بها ولا سيما فى القرائين"** ويعزو سبب جهلهم باللغة العبرية لقلتهم: **" إذ أنهم أيضًا بسبب قلتهم لم ينتشر بينهم العلم به (يقصد اللغة العبرية) انتشاره بين اخوانهم الربانيين" مراد فرج ليشع:** "القراؤون والربانيون" الطبعة الاولى؛ القاهرة ، ص٣.
[٥٤] كان من كبار شعرائهم" مراد فرج"(Mourad Farag)-(١٨٦٦-١٩٥٦) من عائلة ليشع؛ والذى كان من عشاق اللغة العربية الفصحى وله فيها العديد من الدواوين والأشعار- وكتب المراجع والقواميس مثل كتابه ذو الثلاثة أجزاء ملتقى اللغتين العربية و العبرية، كان مراد فرج ليشع مولعًاطوال حياته بكش أسرار العلاقة بين العربية واللغة العبرية؛ ومما كتب فى ذلك: **"" لا يدرك مقدار ما بين العبرية والعربية من الجناس اللّفظى والمعنوى مثل الواقف عليهما، العالم بهما، فإنه يرى ذلك الجناس مشخصًا بين عينيه، حتى ليخيل إليه أنهما الفرقدان فى السماء أو التوأمان فى الإخاء أو الهلالان فى السماء والماء، وقد غابت عنه المسبوقة منهما والسابقة أو الموافقة والمفارقة مما لا بد فيه من البحث والتدقيق والفحص والتحقيق "- مراد فرج ليشع:** "القراؤون و الربانيون"، القاهرة؛ ١٩١٨، ص١٧١-١٧٢.

لدى كل اليهود، اللغة التى تقرأ بها صلاوات تكاد تكون غير مفهومه لدى الكثير منهم وهى اللغة التى تكتب على شواهد الأضرحة وتكتب بها العهود والمواثيق الغليظة مع الرب مثل عقود الزيجات والطلاق؛ ولكن بالنسبة لمجتمع الصاغة كانت العبرية هى أيضًا لغة أسرار الصنعة التى ستحفظها فى يد القرائين من العمال المسيحيين[٥٦]والمسلمون اللذين يتحركون هنا وهناك، أيضًا كانت العبرية سلاح القرائين الأساسى فى إخفاءأسرار التجارة عن الزبائن المسلمين[٥٧].

٤-٢ توجيه الصبية الصغار للعمل فى الصاغة:

يمكن القول ان المجتمع القرائى كان يرى الصاغة كتجارة وصناعة هى

---

[٥٥] مثل "موريس شماس" و "أمين باروخ الجميل"(Amin El-Gamil) لديه المقدرة على نظم الشعر بالفصحى وبالعامية المصرية (زجل)- **رشاد رمضان عبد السلام:** "يهود مصر (١٩٢٢-١٩٥٦)"، دار الكتب والوثائق القومية،مصر النهضة العدد٩٥، القاهرة ٢٠١٤؛ ص٣٠، عن جريدة الكليم: "تحية الزجل فى أعياد فاروق"،١٩٥١/٥/١٦، ص٩.

[٥٦] جاء فى مؤلف مراد القدســـى:**".. كان الأقباط يشتغلون كتبة حسابات وماسكى دفاتر عند التجار القرائين، وقد أخذوا منهم منشآتهم بعد هجرتهم من مصر"** عن مراد القدسى "Just For The Record"-نقل عنه؛ **محمد أبو الغار:** "يهود مصر من الإزدهار إلى الشتات"، دار الهلال،٢٠١٢، ص١٦.

[٥٧] من بين تلك الكلمات المشفرة؛ **كلمة "يافيت"(Yaffet):** وتعنى "جيد" أو "جميل"؛ وهى مماثلة لنفس معناها فى اللغة العبرية الحديثة، ويستخدمها التجار ليتبادوا المعلومات عن الزبون الواقف أمامهم من أنه غنى (عندما يكون قادم للمحل بصفته مشترى) أو أن البضاعة المعروضة من قبله جيدة إذا كان بائعًا، هذه الكلمة يشرح معناها مفصلاً مراد فرج فيقول:"يافت بكسر الفاء متوسطًا ممدودًا بمعنى حسن" ولقد استخدم اسم يافت او يافث كأحد أسماء يهود مصر القرائين، مثل خضر يافت مسعودة زعيم طائفة القرائين، مراد فرج ليشع: "القراؤون و الربانيون"، طبعة القاهرة،ص١٨١. وفى مقابل كلمة "يافيت" توجد كلمة أخرى "أشفور" **(Ashfoor).**

أدمون(Admon): وتعنى قطعة مجوهرات قديمة؛ أو قطعة من الذهب قد تعرضت لإصلاح من بعد كسر، فيقوم التاجر بتنضيفها وإصلاحها ثم يعرضها فى "الفترينة"على أنها منتج جديد وأصلها فى العبرية "كادمون" (Kadmon)؛ وتعنى "قديم" أو "عجوز"؛ فى العامية المصرية حرف الكاف العبرى (Kof) أو (K)- يتم نطقه كحرف ألف (Alef) صامته، وهكذا أصبحت كلمة "كادمون" تنطق "أدمون" من قبل التجار المصريين.**كلمة "شال" (Shal):** كلمة يستخدمها صاغة مصر فى إشارة للتملك وهى مشتقة من أصل عبرى؛ وعندما تنطق شالى (Shali) يكون معناها "فى حوزتى" أو "معى"، وعندما يضاف لها حرف الكاف فى النهاية فتنطق "شالك" (Shalak)؛ فهى تعنى "معاك" أو "فى حوزتك أنت".

Murūd al-Qudsï: "The Karaite Jews of Egypt, 1882-1986), USA,2nd Press 2006, P22, and note 15.

Jacky Hugi:**"The Secret Language of Cairo's Jewelry Merchants",** ***An Interview Rosenbaum, Puplished in"Al-monitor", inSeptember 25, 2013..with Gabriel M***

المستقبل الأفضل لأى من القرائين الذين لم يجدوا طريقهم بعد لأحد كليات القمة مثل الطب أو الهندسة ولم يحصل على مقعد خلف أحد مكاتب البنوك التى يسيطر عليها اليهود، لذلك تحركت كل الأسر القرائية سواء الفقيرة أو الغنية نحو الدفع بأبنائها لتعلم حرفة الصاغة، فكان الصبية يقضون فترة العطلات والأجازات الصيفية مع آبائهم وأجدادهم العاملين بتلك الحرفة ليتعلموا عنهم ويقفوا مكانهم فى أيام مرضهم– ويديروا أعمالهم من بعدهم.

قد نستطيع أن نتخيل أن مجتمع القرائين فى فترة العشرينات وثلاثينات القرن الماضى استطاع الحفاظ على بنائه الطبقى المتعاون خلال فترات التدريب الصيفى للصبية الصغار؛ فكان أبناء الأثرياء ومن ضمنهم "إبراهيم مسعودة"–اللذين نالوا حظ أوفر فى التعليم يتوجهون للصاغة لكى يتعلموا أصول الصنعة والتجارة، بينما أبناء الفقراء أيضًا يتوجهون للصاغة لكى يشتغلوا فى الورش والمخارط أو حتى يقومون بتوصيل الطلبات والخدمات المعاونة، هذه الصورة من السهل الوقوف عليها عند قراءة مقالة لـ "ليتو إبراهيم نونو"(Lieto Ibrahim Nunu)[٥٨] والذى كتب سلسة مقالات فى جريدة الكليم والشبان القرائين ناقش فيها قضايا التعليم واصلاحه فى الطائفة القرائية؛ جاء فيه:

".. **كانت بعض الاسر القرائية تفضل إرسال أبنائها إلى محلات الصاغة ولم يتجاوز عمرهم اربع سنوات وبذلك يمضون حياتهم جهلاء بدون تعليم، وربما يمكث بعضهم سنة او ثلاث فى المدرسة فيكون ملمًا بالقراءة والكتابة وبعدها يرسله والده إلى الصاغة أيضًا**[٥٩]"

[٥٨] **ليتو إبراهيم نونو:** محرر فى جريدة الكلـــيم القرائية، والإتحاد الإسرائيلى للشبان القرائين؛ له العديد من المقالات النقدية لظروف ومشكلات مجتمع اليهود القرائين.

[٥٩] **ليتو ابراهيم نونو:** "رقى الطائفة يكون بالتعليم"، الإتحاد الإسرائيلى،١٩٢٨/١٢/١٨، ص٧؛ كانت هذه المشكلة دومًا محل جدل ونقاش فى مجتمع الطائفة القرائية والتى اشتهرت بالإشتغال فى تجارة بيع المصوغات

و كذلك كتب يوسف فرج الطنانى منتقدًا هذه الظاهرة فى "الكليم":

"**هم فى ذلك العمل لا يتعلمون أى صنعة أو حرفه، فهم مجرد صبيان يستعملون كمراسلين لإرسال واستلام البضائع فى المحلات، وبذلك يشب الفتى منهم لا صناعة فى يده يمكن ان تفيده فى مستقبله**"[٦٠].

هذا بالنسبه لاطفال الفقراء من اليهود القرائين، فمذا عن الأطفال الأغنياء؟ ومن بينهم الطفل "إبراهيم مسعودة"– من المؤكد أنهم حظوا بمعاملة مختلفة للغاية– فلم تكن تنشئتهم لكى يغادروا التعليم مبكرًا وينخرطوا فى مجتمع الصاغة– إذ كان هذا المجتمع يعتقد أن ثروته الحقيقة هى المال إلى جانب الذرية الصالحة– ولو وضع فى موقف الإختيار بينهما لأختار الذرية– يقول القرائى "جوزيف بيساح" المولود فى مصر ١٩٤٥؛"**إن القرائين يعاملون أبنائهم كالمجوهرات الثمينة**"[٦١]، هذه الجملة وهذا التعبير البلاغى يحمل العديد من الدلالات التى قد نفهم منها أساليب التربية والنشاة لأطفال القرائين؛ فالمجوهرات بالنسبة للرجل الثرى الذى يكتنزها ليست هى نفسها بالنسبه للصائغ الذى ينحت الحجر الكريم ليصنع منه فصوص ماسية وتحف رائعة، انه يحافظ عليها تماما مثلما يفعل الثرى ولكنه أيضًا يشذبها ويكحتها بقسوة لكى تكون فى أحسن صورة تزين خاتم أو واسطة عقد.

فى عام ١٩٠١ عندما بدأ الشاعر القرائى "مراد فرج ليشع" جريدة

الذهبية و المشغولات المعدنية والرهونات، وكان ابناء الطائفة من الفقراء لا يستمرون فى التعليم، فيتركونه ليلتحقوا بالعمل فى هذه المحلات التجارية. **رشاد رمضان عبد السلام:** "يهود مصر (١٩٢٢-١٩٥٦)"، دار الكتب والوثائق القومية،مصر النهضة العدد٩٥، القاهرة ٢٠١٤؛ ص٣٣١. **نبيل عبد الحميد:** "الحياة الإقتصادية والإجتماعية لليهود فى مصر (١٩٤٧-١٩٥٦)"، القاهرة، مكتبة مدبولى ١٩٩١، ص١٥٨.

[٦٠] **يوسف فرج الطنانى:** "المشروعات الخيرية وكيف يتم تنفيذها" والذى اختتم مقاله بتزكية الدعوة التى وجهها أحد أحد أبناء القرائين الدعوة للاهتمام بالتعليم الصناعى وطالب الاثرياء بانشاء مصنع يضم هؤلاء الصغار"-، الكليم، أول سبتمبر١٩٤٥، ص١٣

[٦١] محمد أبو الغار: "يهود مصر من الإزدهار إلى الشتات"؛ مطبوعات دار الهلال، القاهرة٢٠١٢، ص١٥٧.

التهذيب والتى كما وضّح كان هدفها توعية أبناء الطائفة ونشر الأخلاق بينهم والإرتقاء بهم– تعمّد "مراد فرج" فى كل عدد ان ينشر مسئلة حسابية او قطعة للترجمة من العربية للإنجليزية او العكس، لحث أبناء الطائفة القرائية على ثقافة التعلم؛ وكان فى العدد التالى ينشر أسماء طلبة المدارس اليهودية اللذين نجحوا فى الوصول للحل السليم لمسئلته– كل هذه الامور جيدة للغاية قد يشترك فيها مجتمع اليهود القرائين مع اى مجتمع آخر فيما عدى أن هذا كان نص أحد المسائل التى نشرها مراد فرج ليشع:

"**حسبة الصائغ**"

" **صائغ من الصياغ عنده جوز أساور من ذهب وزنه ٥٠ بندقيًا عياره ٨٥٠ وحلقان وزنهما ٢٠ مثقالًا عيارهما ٨٠٠ وسبيكة وزنها ٢٠ محبوبًا عيارها ٨٧٥ ضم جميع ذلك إلى بعضه وأضاف إليه درهمًا ونصفًا من النحاس، وأراد معرفة كم يلزمه من الجنيهات الإنجليزية ليكون العيار بعد سبكها مع ذلك ٨٨٠، فهل من مجتهد نشيط يعرفه ذلك؟؟**[٦٢]

من السهل التوقف عند هذه المسئلة الحسابية والتعقيب بصعوبتها؛ دون التفكر فى أنها وضعت لكى يقوم بحلها طلبة المدرسة الإبتدائية القرائية– من أبناء العاملين بالصاغة؛ بالطبع لم يكن هذا هو النموذج المعتاد لكافة طلبة الإبتدائية فى القطر المصرى الذين لن يجيدون التعامل مع إصطلاحات مثل "بندقيًا"، "عيار ٨٥٠ وعيار ٨٠٠"، الفرق بين وزن المثقال والمحبوب، ماهو الدرهم و النصف النحاس وما هو زنه؟ وماهو الجنيه الإنجليزى؟– لقد صنعت هذه المعضلة لطفل يمتلك ثقافة اليهود القرائين– ثقافة الصاغة،وهو ما كان إذ نشرت التهذيب فى عدد تالى:

[٦٢] **مراد فرج ليشع:** "التهذيب"، العدد رقم ١٣، ١٩ حشون سنة ٥٦٦٢ عبرية والموافق ١ نوفمبر من عام١٩٠١، السنة الأولى، الصفحة الرابعة من الجريدة والمرقومة بـ٥٨ من المجلد الاول.

"حل هذه المسئلة وهى الواردة بالتهذيب الثالث عشر؛ فرج أفندى سليم من تلامذة السنة الرابعة بالمدرسة، ومتتيا أفندى موسى السرجانى من القسم الليلى بها. أما الحل فهو ستون جنيهًا لإنجليزيًا إلا قمحة"[٦٣]

ربما استغرق اكتشاف إجابة هذا السؤال المعقد وقتًا على الصبية القراؤون ولكنهم فى النهاية وجدوا لأنفسهم مكانًا وسط ثقافة الصاغة التى إجتذبت آبائهم من قبلهم، سواء كان الطفل اليهودى القرائى فقير أو ابن عائلة ثرية دومًا كان له متسع من المكان وسط ثقافة الصاغة القرائية.. يجب هنا ملاحظة ان هذه المعاملة التى حظى بها الأطفال القرائين اقتصرت تمامًا على الصبية الذكور بينما حظى الإناث بمعاملة مختلفة تمامًا ولكن هذه النقطة ليست محل اهتمام فى محاولتنا لدراسة طفولة "مسعودة"- وفى الحقيقة فى دراسة طفولة مسعودة من المهم ان نحاول دراسة كيف كان مجتمع قرائين الصاغة قد ينظر لطفل موهوب من الناحية الفنية-فهذه النقطة قد تكون مفيدة لمحاولة تخيل جزء مندثر من حياة الفنان الصغير.

٤-٣ كيف كان القرائى يرى موهبة إبنه الفنية فى مجال الرسم:

فى ضوء غياب الوفرة المعرفية عن حياة مسعودة يظل هذاالنوع من المعلومات مجهولًا لدينا خاصة انه مرتبط بسيرة حياتية لأشخاص معينين ومع ذلك قد تمنحنا الدراسة الاستقرائية لمحة مع تعامل القرائين مع موهبة أبنائهم الصغار- للاسف كان مسعودة هو الحالة الفريدة فى المجتمع القرائى الذى اتجه نحو التشكيل الفنى والاعمال البصرية فى ذلك المجتمع الثرى من الناحية

[٦٣] **مراد فرج ليشع:** "التهذيب"، العدد رقم ٢١، ٢٢ طبعت سنة ٥٦٦٢ عبرية والموافق ٢ يناير من عام١٩٠٢، السنة الأولى، الصفحة الرابعة من الجريدة والمرقومة بـ٩٠ من المجلد الثانى، و تجدر هنا الإشارة إلى أن عائلة السرجانى القرائية كانت من العائلات القوية أيضًا فى مجال تجارة وصياغة الذهب- ولا يزال حتى اليوم يتردد اسمها فى الصاغة.

الادبية والنثرية، ولكن هناك حالة أخرى يمكن القياس عليها وهى الطفل الموهوب "دواود خضر ليفى" أو الذى سيعرفه الوسط الموسقى بـ"داوود حسنى" عندما يصبح أحد كبار الملحنين المصريين- ولكن قبل أن يحقق هذا النجاح عندما كان طفلًا- كانت محاولات دفاع داوود حسنى عن هذه الموهبة التى لا يتم توظيفها فى مجتمع الصاغة مريرة للغاية؛ فوالده المعلم إلياهو حاييم ها-ليفى أو المعلم خضر(Khadr Hayyim Halevi)؛ والذى كان يعمل فى الصاغة (صناعة الذهب) بالموسكى، كان عازف عود ماهر ولكن الامر لم يتخطى الهواية الشخصية بالنسبة له- وكذلك الزم ابنه بترك المدرسة فى عمر الـ١٢ عامًا-إذ أراد أن يكتسب إبنه حرفة ومهارة يدوية فى سوق العمل..بالنسبة للمعلم "إلياهو خضر" المحب لعزف العود وفنون الموسيقى الشرقية كانت الموهبة الفنية أمر جانبى لا يجب ان يستحوذ من حياة إبنه داوود سوى ساعت قليلة فى ليلة السبت- أما لان يسعى لتعلمها واتقان هذا الفن فكان مرفوضًا تماما إذ لا طائل منه مقارنة بما قد يحققه الصبى من العمل فى الصاغة-بعد ان فشل داوود الصغير فى محاولة إقناع والده -قرر الهرب من المنزل لتبدأ رحلته الخاصه فى إكتشاف ذاته بعيدًا من تقاليد المجتمع القرائى المنغلق وبالفعل حقق النجاح فيما أراد[٦٤].. لو حاولنا قياس قصة داوود حسنى

[٦٤]فشل "داوود" الصغير فى اقناع المعلم خضر برغبته فى تعلم الغناء. بالرغم من أن المعلم "خضر" كان عازف عود معروف فى وسط اليهود إلا أنه كان يتقبل الموسيقى كهواية و ليس كحرفة يتكسب من ورائها فعارض ابنه فى رغبته لتعلم الغناء والموسيقى.. .. على أثر هذا الخلاف قرر "داوود" الصغير الهرب من المنزل فاستقل مركب متجه إلى المنصورة وهناك غير اسمه العبرى إلى داوود حسنى وقابل فى المنصورة المعلم "محمود شعبان"(Mahammad Sha'bān) خوجة موسيقى عربية و ذو شهرة واسعة فى اكتشاف وتعليم المواهب وهو نفس الشخص الذى تتلمذ على يديه "عبده بك الحامولى" أشهر مطربين مصر فى نهاية القرن التاسع عشر لذلك قصده ديفيد الصغير وتعلم على يده الغناء لمدة عامان فأتقن فن الطقاطيق العربية. وإيقاعاتها، و هرمونيا الأصوات وكانت مقامات الموسيقى الشرقية هى أعظم ما تعلمه من المعلم "محمود شعبان".

وبنهاية العامان كان داوود ربما ذو الرابعة عشر من العمر أو الخامسة عشر يجيد العزف على العود نفس الآلة التى كان أبوه يتقن العزف عليها فى القاهرة.. بعد سنتان قضاهما داوود يتتلمذ على يد الشيخ"شعبان" نهل فيهما من علمه قدر ما وجدن عاد إلى القاهرة بناءًا على نصيحة الشيخ"شعبان" له إذ لم يكن هناك من مزيد

واكتشافه لموهبته وتفاعل أسرته القرائية معه وحاولنا مقارنتها بحالة "مسعودة" أو الصفحات الفارغة والمماثلة فى حياة "مسعودة"– بالتأكيد فإن نفس القياس سيعطينا نتائج مختلفة تمامًا.

٤–٤ أين يمكن ان نجد الطفل "إبراهيم مسعودة" فى هذا الوسط؟

لم يكن مسعودة أحد أبناء الاسر المكافحة أو المتوسطة فى المجتمع القرائى، فى الحقيقة كان إبن أكبر عائلة قرائية؛ "عائلة مسعودة"، لذلك فإن الخوف من الفقر والعوز فى فترة الثلاثينات لم يكن مطروحًا–فأسرته تركت أخوه المتفوق الأكبر د. يوسف مسعودة(Dr. Yossef Massouda)..ليستمر فى دراسة الطب، ومن الواضح أن السيد ليتو والسيدة راشيل من عائلة كوهين كانا على درجة من العلم والثقافة بحيث اعتقدوا أن موهبة ولدهما مسعودة سوف تكون حافزًا له فى تقدمه الدراسى و العلمى، من المحتمل طبعًا أن هذا الاعتقاد تمت مراجعته فى فترة مراهقة مسعودة عندما أبدى توجه لدراسة الفنون الجميلة كدراسة عليا له ربما بناء على نصيحة معلمه الاستاذ "حسين يوسف أمين"– ولكن من المؤكد أن مسعودة قضى طفولة مستقرة للغاية أيًا ما كانت

تستطيع المنصورة أن تقدمه له؛ وبعدها عاد إلى القاهرة واصطلح مع والده"المعلم خضر"؛ الذى تأكد ان مصير إبنه قد تحدد من قبل ان يولد.. وبدأت رحلته الفنية فى مصر.

, USA,2nd Press 2006, P.283."..**Murūd al-Qudsï:** "The Karaite Jews of Egypt, **David Marzouk, Abe Mourad, Albert Gamill:** " Daoud Hosni – Music Composer, 1870 – 1937", 2005 for the seventieth anniversary of the death of Daoud Hosni, **A recorded interview by Joseph** ..Historical Society of Jews From Egypt **Sabbagh, Interviewing Ibrahim and Kamal Hosni**, sons of late Daoud Hosni, In Cairo, in November 1983

عرفه عبده على؛ "يهود مصر من الخروج الأول إلى الخروج الثانى"،هيئة قصور الثقافة، القاهرة ٢٠١٠، ص٢٨٦-٢٨٧. ؛ محمد أبو الغار: **"يهود مصر من الإزدهار إلى الشتات"**-دار الهلال، القاهرة٢٠١٢، ص٥٦-٥٧؛ سليمان الحكيم؛ "يهود ولكن مصريين"، القاهرة، الجمهورية ط.٢٠٠٨، ص٤٣-٥١. **احمد يوسف الطويل؛ استاذ علوم الموسيقى؛ " داود حسنى..المصرى الذى أجاد اليهود استخدامه"** مقال نشر فى جريدة الاهرام ؛ السبت/١٩-٤-٢٠١٤، جاك حسون: "تاريخ يهود النيل"، ترجمة يوسف درويش، ط٢، القاهرة، دار الشروق، ص١٢٠-١٤٨.

توجهات أسرته–إذ أنه على جميع المقاييس لا يوجد أى تعارض بين هواية الرسم و صناعة الصاغة القرائية– بالعكس كل منهما يكمل الآخر– وبعيدًا عن صناعة الذهب فحتى تجارة الذهب تستلزم عين الجواهرجى الذواقة للفن و الجمال، حيث أن كل قطع المشغولات الذهبية أو الفضية تشتمل على نسبة "مصنعية" تضاف إلى قيمة وزنها وترفع من إجمالى قيمتها المادية لكل جرام على حدة. مما لا شك فيه أن كون مسعودة طفل موهوب فى الرسم استقبل بقدر كبير من الترحيب فى مجتمع الصاغة، ومع ذلك يظل هناك هاجس ماذا يرسم الطفل مسعودة؟–فبالنسبة لطفل يهودى قرائى كانت الرسومات والتصاوير الحية موضع تحفظ من أبناء الطائفة– ولكن كل من مسعودة والطائفة القرائية تعامل مع هذه الممشكلة بشكل حذق وأكثر مرونة وبعيد كل البعد عن التعصب[٦٥].

نتائج الدراسة البحثية:

استهدفت الدراسة التعريف بالخلفية التاريخية التى جاء منها الفنان المصرى اليهودى "إبراهيم مسعودة" وحاولت التعرف على طفولته ونشأته المبكرة من خلال فهم عائلته وأسرته وتتبعت كل الأصول اليهودية التى أمكن إيجادها لمعرفة تلك الخلفية (وفقًا للمصادر المتاحة)– فاستعرضت المذهب اليهودى القرائى ونشاته، واستقرار فصيل من اتباعه فى مصر من بعد مؤسسه "عنان الناسى"؛ كما عرضت لفكرة التمايز بين المذهبين اليهوديان؛ القرائية والربانية– حيث كان الربانيون هم أغلب يهود مصر بينما كان اليهود القرائين قلة قليلة جدًا من ذلك المجتمع– ثم استعرضت الدراسة لمحة عامة عن تاريخ

[٦٥] **أحمد زكريا زكى:** "الفنان إبراهيم ليتو مسعودة؛ أحد مؤسسى مدرسة الحداثة المصرية فى التصوير"، دراسة غير منشورة، ص:٢-٣.

تلك الطائفة فى مصر وكيف كان عصرهم الذهبى فى زمن الفاطميين ثم إنحدارهم فى زمن المماليك والعثمانيين.

أظهرت الدراسة الدور الذى لعبته عائلة مسعودة فى القرن التاسع عشر عقب هجرة اليهودى العراقى "يوسف هاروفى بن البصرى" وزواجه بالسيدة "مسعودة" المصرية من عائلة إليشع، مكونًا بذلك نواة أسرة مسعودة التى حكمت الطائفة القرائية المصرية لمدة ١٥٠ عامًا تقريبًا وبعد استعراض لمحة عن تاريخ الطائفة القرائية خلال تلك الفترة (عصرها الحديث) مع ذكر خاص لفترة حياة الفنان إبراهيم مسعودة– ثم تطرقت الدراسة لتلقى المزيد من الضوء على الدور بالغ الأهمية الذى لعبته هذه العائلة فى تاريخ يهود مصر القرائين والذى حددته الدراسة فى سته نقاط هم:

اولًا: تحمل المسئولية الكاملة لتصرفات الطائفة القرائية أمام الحكومة المصرية

ثانيًا: قيادة الطائفة قبل المجلس الملى وإقامة الحدود

ثالثًا: التدخل ورأب الصدع داخل الطائفة عندما حاو بعض أعضائها تدمير المجلس الملى.

رابعًا:الرئاسة الدائمة للمجلس الملى (مجلس الطائفة) وكل لجان الطائفة القرائية.

خامسًا: محاولة التقريب بين الطائفتين القرائية والربانية–خلال الحرب العالمة الثانية.

سادسًا: التوي بين مجلس قيادة الثورة المصرية و الطائفة القرائية

ثم استعرضت الدراسة الوضع الاقتصادى والإجتماعى لعائلة مسعودة

بين القرائين لفهم نوع البيئة الثقافية التى نشأ فيها الفنان "إبراهيم مسعودة"، كما القت الضوء على الدور الذى لعبته رحلات عائلة مسعودة لمصيف راس البر أو قرى الريف المصلرى فى شحذ مخيلة الرسام إبراهيم مسعودة نحو الحياة الريفية وحيوانات الريف المستأنسة وعلاقتها بالإنسان كشريك كفاح- وفقًا لوجهة نظر مسعودة الناضج.

الجزء الأخير من الدراسة استعرض أسرة الفنان "إبراهيم ليتو مسعودة" وتاريخها وصولًا للرسام لمعرفة الثقافة والوضع الإجتماعى الذى نشا فيه مسعودة الصغير، فى هذا الجزء تم الكشف عن بعض السمات الشخصية التى تمتع بها الطفل مسعودة من خلال علاقته بوالدته وأخوته وحتى التعرف على أعمامه، وانتهت الدراسة إلى محاولة استقصاء طبيعة الطفولة التى عاشها مسعودة فى ضوء كل القرائن التاريخية التى توافرت ووجهت جميعها للإجابة على كيف كانت نشأة الطفل القرائى وسط عائلة ثرية من الصاغة كعائلة مسعودة؟- فاستعرضت الدراسة فكرة حرص القرائين على الحفاظ على سرية صنعتها فى الصاغة من خلال استخدام لغة سرية لتكون هذه الصنعة حكرًا على أبناء اليهود القرائين ودفعهم بالأطفال الصغار من القرائين لتعلم هذه الصنعة فى فترات مبكرة جدًا من حياتهم- ثم حاولت الدراسة التعرف على وضع الأطفال الموهوبين فى الرسم كمسعودة وسط هذا المجتمع المتحمس جدًا للصاغة وانتهت الدراسة غلى أن كل الظروف كانت موائمة للطفل "مسعودة" لكى يحظى بأفضل الفرص من اجل تعلم واتقان الرسم وأن ثروة عائلة مسعودة فى الصاغة ضمنت له حياة سهلة إلى حد كبير- حتى لو كان يحظى بتدريبات صيفية اثناء الإجازات الدراسية فإنها لم تكن لتتعارض مع موهبته الفنية بأى حال من الأحوال، بل على العكس أظهرت الدراسات الأخرى للوحات مسعودة الفنية أنه تأثر بمجتمع الصاغة وبفنونه فى لوحاته الفنية-

والفضل لذلك يعود لفترة مبكر من طفولته والعائلة المتميزة التى حظى بها الطفل "مسعودة"

المراجع:

١- **إبراهيم درويش**:" جعفر حسن، حول فرقة القرائين اليهود؛ الحلقة المفقودة بين الإسلام و اليهودية"، القدس الإسبوعى، المجلد ٢٦، العدد٧٩٤٣، نوفمبر ٢٠١٤.

٢- **إبراهيم مسعودة:** كتيب معرض جماعة الفن المعاصر١٩٤٨ (المعرض الثانى)- مجموعة خاصة لدى أسرة عبد الهاى الجزار -القاهرة.

٣- **إبن ميسـر؛ (٦٧٧هـ/١٢٧٨م):** " تاريخ مصر"، الجزء الثانى، القاهرة ١٩١٩.

٤- **أحمد زكريا زكى:** "الفنان إبراهيم ليتو مسعودة؛ أحد مؤسسى مدرسة الحداثة المصرية فى التصوير"، دراسة غير منشورة.

٥- احمد يوسف الطويل: " **داود حسنى..المصرى الذى أجاد اليهود استخدامه" مقال نشر فى جريدة الاهرام ؛ السبت/١٩-٤-٢٠١٤.**

٦- أسود عبد الرزاق: " موسوعة الأديان والمذاهب"؛ الدرا العربية للموسوعات، الطبعة الثانية،٢٠٠٠.

٧- إيمه آزار؛ ترجمة إدوارد الخراط :"التصوير الحديث فى مصر حتى عام ١٩٦١" ط٢، المركز القومى للترجمة؛ القاهرة٢٠٠٩ .

٨- جاك حسون ترجمة يوسف درويش: "تاريخ يهود النيل"، ، ط٢، القاهرة، دار الشروق،٢٠٠٨.

٩- جعفر هادى حسن: "تاريخ اليهود القرائين؛ منذ ظهورهم وحتى العصر الحديث"؛ العارف للمطبوعات، ط٢؛ بيروت٢٠١٥.

١٠- حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي بيروت، ١٩٩٩.

١١- رشاد رمضان عبد السلام: "يهود مصر (١٩٢٢-١٩٥٦)"، دار الكتب والوثائق القومية،مصر النهضة العدد٩٥، القاهرة ٢٠١٤.

١٢- زبيدة محمد عطا: "يهود مصر التاريخ الإجتماعى والاقتصادى"، عين للدراسات،ط١، القاهرة، ٢٠١١.

١٣- سلمون سطمبولى: أنشطة يهود مصر الإقتصادية ١٧٩٨-١٩١٨، تحرير يعقوب م لنداو: ":" تاريخ يهود مصر"،(بالعبرية) ترجمة القاهرة،٢٠٠٠.

١٤- سهيل ديب: "التوراه، بين الوثنية والتوحيد" دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٩٨٥.

١٥- السيوطى؛ (٩١١هـ/١٥٠٥م): "حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة"، الجزء الثانى، طبعة القاهرة١٩٠٩.

١٦- عدنان حسين احمد: فرقة القرائين اليهود للدكتور جعفر هادى حسن (ج٢)؛ مركز الدراسات والابحاث العلمانية فى الوطن العربى،٢٠١١.

١٧- عرفة عبده على: "يهود مصر؛بارونات وبؤساء"، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٧، ط١

١٨- عرفه عبده على؛ "يهود مصر من الخروج الأول إلى الخروج الثانى"،هيئة قصور الثقافة، القاهرة ٢٠١٠

١٩- على عبد الواحد وافى: "اليهود واليهودية- اليهودية واليهود .. بحث فى ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعى والاقتصادى"، القاهرة، دار نهضة مصر، ط١،١٩٩٦.

٢٠- فاروق عسكر: دليل مدينة القاهرة، الجزء الأول، مشروع بحثي مقدم إلى موقع الشبكة الذهبية، أبوظبي: سبتمبر أيلول ٢٠٠٢.

٢١- قاسم عبده قاسم: "اليهود فى مصر من الفتح الاسلامى وحتى الغزو العثمانى" قراءة فى تاريخ مصر الإجتماعى، عين للدراسات، القاهرة،٢٠١٥.

٢٢- قاسم عبده: "اليهود فى مصر"؛ دار الشروق، القاهرة،١٩٩٣

٢٣- كلوت بك؛ "لمحة عامة عن تاريخ مصر"،ج٢.

٢٤- الكليم: ١-١٦ أكتوبر عام ١٩٥٢.

٢٥- الكليم: العدد رقم(٦٥)- القاهرة، ١٦-أكتوبر سنة ١٩٤٧، ص٦.

٢٦- الكليم: مقال بعنوان:"الفنان إبراهيم مسعودة"، العدد ٢٢٢، اول مارس ١٩٥٥.

٢٧- ليتو ابراهيم نونو: "رقى الطائفة يكون بالتعليم"، الإتحاد الإسرائيلى،١٩٢٨/١٢/١٨.

٢٨- محمد أبو الغار: "يهود مصر من الإزدهار إلى الشتات"-دار الهلال، القاهرة٢٠١٢.

٢٩- مراد فرج ليشع: جريدة "التهذيب" القرائية ح الفترة من ١٩٠١-١٩٠٣، الأعداد٢١-٢٢،

٣٠- مراد فرج ليشع: "القراؤون و الربانيون"،مطبعة الرغائب، القاهرة؛ ١٩١٨.

٣١- نبيل عبد الحميد: "الحياة الإقتصادية والإجتماعية لليهود فى مصر (١٩٤٧-١٩٥٦)"، القاهرة، مكتبة مدبولى ١٩٩١

٣٢- يوسف الجميل اليهود القراؤون فى مصر(١٥١٧-١٩١٨)؛ عن:لنداو؛ اليهود فى مصر(ترجم عن العبرية)- تحرير يعقوب لنداو،المركز القومى للترجمة١٩٩٩.

٣٣- **يوسف فرج الطنانى: "المشروعات الخيرية وكيف يتم تنفيذها"؛ الكليم، أول سبتمبر١٩٤٥**، ص١٣

34- 32-Abbas Yafit Massouda: "Contribuion a l'Etude du Wakf en droit Egyptien"- Paris, 1925.

35- 33-David Marzouk, Abe Mourad, Albert Gamill: " Daoud Hosni – Music Composer, 1870 – 1937", 2005.

36- 34-E. Goldschmidt, K. Fried, A. G. Steinberg, T. Cohen: " The Karaite Community of Iraq in Israel: A Genetic Study", Am J Hum Genet 28, Press 1976, P.243.

37- 35-Farhi Orgnization :The Karaite Families, Les Fleurs de l'Orient, after :. MyHeritage, Family tree for "Massouda Family"

38- 36-Fred S. kleiner: "Garder's Art Through the Ages, The Western ", Vol II, 4th Edition, Press2014.

39- 37-Jacky Hugi:"The Secret Language of Cairo's Jewelry Merchants", An Interview with Gabriel M. Rosenbaum, Puplished in"Al-monitor", inSeptember 25, 2013.

40- 38-Jennifer patal: "The myth of jewish Race", Wayne State uni, Press 1989.

41- 39-Judith Olszowy-Schlanger: "karaite Marriage Documents From Cairo Geniza", Brill, N.Y, 1998.

42- 40-Leon Nemoy: , Karaite Anthology p.xvii.

43- 50-Mathilde Tagger of Jerusalem:"Fargeon, M. Les Juifs en Egypte depuis L'origine jusque'a ce jour, Cairo,1938

44- 51-Mikhail Kizilov: "Karaites and Karaism: Recent Developments",Center 2006 Conference, Vilnius, Lithuania.

45- 52-Mireille Cohen -Massouda: "Les Musulmans Bleus," in Une Enfance Juivie en Méditerranée musulmne, ed. Leïla Sabbar (Saint-Pourçain-sur-Siole:Bleu Autour,2012, also published in A History of Jewish-Muslim Relation, From the Origins to th present day, by Abdelwahab Meddeb&Benjamin Stora, Oxford press2013.

46- 53-Moshe Firrouz: "The Karite Jews in Egypt", A symposium held at Bar-Ilan university- Tel-aviv, on May 2-2013.

47- 54-Murūd al-Qudsï: "The Karaite Jews of Egypt, 1882-1986), USA,2nd Press 2006.

48- 55-Walter J.fischel: " Jews in the Economic and Political Life of Mediaeval Islam",Vol-XII, Press 1937.

49- 56- Warren Paul Green: "Nazi Racial Policy Towards the Karaites", Soviet Jewish Affairs 8,2 (1978).

شكل رقم(١): مجموعة من الأطفال القرائين يصطفون أمام معبدهم الكبير موسى الدرعى فى عيد سمحاة توراه(Yōm Simhāt Torāh)- (שמיני עצרת ושמחת תורה)؛

صورة قديمة تعود لفترة الخمسينات، حيث أعتاد الأطفال القرائين اللذين نجحوا فى اتمام فصل تعلم اللغة العبرية تلاوة بعض الآيات من العبرية عن مخطوطة التوراة المحفوظة فى المعبد وسط حشد من الاهالى و الأقارب، حتى الاطفال الذين رسبوا كانوا ايضًا يحضرون للمعبد فى زيهم الأبيض يغطون رؤوسهم بالطاليت ويحتفلون بالعيد مع رفاقهم، لقد كان عيد اكتمال نزول التوراة على بنى إسرائيل فرصة لاحتفال القرائين بنقلهم التوراة كأمانة للذرية الصالحة، الصورة تعكس تمامًا الوصف الذى قدمه القرائى جوزيف بيساح عندما قال : **"إن القرائين يعاملون أبنائهم كالمجوهرات الثمينة"**

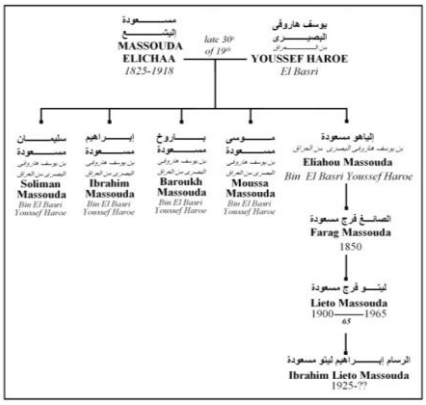

شكل رقم(٢)

شجرة العائلة ليوسف هاروفى البصيرى

من العراق وفروع عائلة مسعودة المصرية الخمسة

(دراسة من إعداد الباحث)

شكل رقم(٤)

تجمع لأفراد عائلة مسعودة فى أحد العزب الريفية التى امتلكتها عائلة ليتو باروخ مسعودة فى محافظة الشرقية

أثناء عطلة شم النسيم فى عام

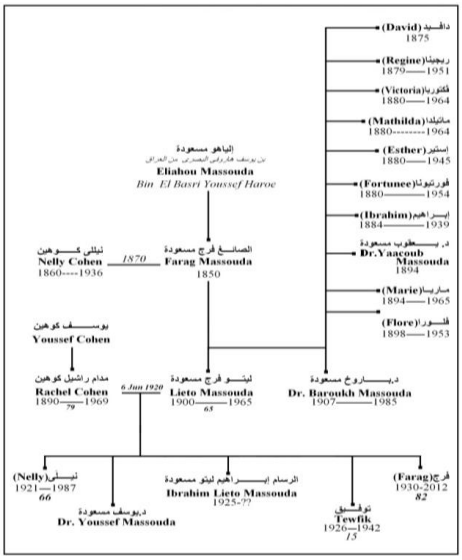

شكل رقم (٣)

شجرة العائلة للرسام إبراهيم ليتو مسعودة

(دراسة من إعداد الباحث)

شكل رقم (٥)

تجمع لأفراد عائلة مسعودة فى احد قصور عائلة مسعودة ويتوسط الصورة (الرجل صاحب النظارة)

الخواجة "ليتو باروخ مسعودة" بينما يصطف من حوله فى الصف الأول كبرات وزعماء عائلة مسعودة بفروعها الخمسة، وفى أقص

ى اليمين تظهر أرملة أحدهم،بينما الأجيال الجديدة تصطف على سلم القصر

شكل رقم (٦)

تجمع لأفراد عائلة مسعودة فى قصر باروخ مسعودة بعزبته فى الشرقية فى أثناء عطلة شم النسيم من عام ١٩٣٧

الصورة تضم إلى جانب أفراد عائلة مسعودة عدد آخر من أبناء عائلة ليشع، كوهين، عبد الواحد والقدسى، كذلك يظهر فى الصورة الطفل أبراهيم مسعودة ذو الاثنى عشر ربيعًا يتوسط والده الخواجا ليتو مسعودة والسيدة راشيل من عائلة كوهين. ويقف ليتو باروخ مسعودة فى الخلف تمامًا.

***After*: Murūd al-Qudsī:** "The Karaite Jews of Egypt, ..", P.37.2006 Press,2nd USA,

شكل رقم (٧)
تجمع جزء مكبر عن الصورة السابقة لعائلة مسعودة فى أثناء عطلة شم النسيم من عام ١٩٣٧
يظهر فى الصورة "الطفل إبراهيم مسعودة ذو الغثنى عشر ربيعًا و خلفه والده ليتو مسعودة و حرمه السيدة راشيل
وإلى جوارهما ربما الطبيب يوسف مسعودة وفى الأسفل يجلس الصبية و بينهم توفيق و فرج مسعودة.
***After*: Murūd al-Qudsï:** "The Karaite , USA,2nd Press 2006, "..Jews of Egypt, P.37

شكل (٨)

ليتو باروخ مسعودة يلتقى الرئيس محمد نجيب فى مكتبه ويدعوه لزيارة معبد القرائين فى عام ١٩٥٢

After: Murūd al-Qudsï: "The Karaite Jews of , USA,2nd Press "..Egypt, 2006, P94.

القيم التشكيلية والتعبيرية فى لوحة " الشيطان ملاك الليل الحارس " لإبراهيم مسعودة دراسة فنية للوحة "الشيطان ملاك الليل الحارس"

د / أحمد زكريا (*)

(*) مدرس تاريخ العمارة والفنون كلية الهندسة جامعة عين شمس-قسم الهندسة المعمارية

مقدمة

لوحة "الشيطان ملاك الليل الحارس" وهو الاسم الذى استخدمته هذه الدراسة للإشارة لإحدى لوحات "مسعودة" مجهولة الاسم وهى ضمن مقتنيات مجموعة الشارقة الإمارتية، لا يوجد اى تاريخ محدد لهذه اللوحة، فمؤسسة الشارقة للثقافة والفنون تنسب اللوحة لمطلع الخمسينات؛ ولكن الاسلوب المستخدم فى اللوحة يختلف تماما عن لوحات مسعودة التى وضعها فى بداية حياته الفنية؛ وقت مشاركته لجماعة الفن المعاصر أو مجموعة الأربعة، بينما الفترة الاخيرة من حياته الفنية المؤرخة، كانت أكثر قوة من ناحية ضربات الفرشاة وبرغم ذلك امتازت بحالة من القلق الرهيب والتوتر؛ انعكس ذلك على اسلوبه فى الرسم فأصبح قريب الشبه جدًا من "فان جوخ"؛ من المرجح جدًا ان لوحات مسعودة ذات الاسلوب الجديد اكتسبت المزيد من المهارة مع مرور الزمن وأخرجت إبداعات حقيقية[١]..

مشكلة البحث:

تعود اللوحة لفترة متأخرة من حياة مسعودة استخدم فيها التنقيط او اسلوب ضربات الفرشاة القصيرة ليكون الاشكال والتصاوير التى تجيش بها انفعالاته، النظرة السريعة والمتعجلة لمثل هذه اللوحات تمنح مشاهدها احساس قوى بسذاجة وبساطة الفنان [٢]، وبالفعل من دون دراسة الخلفية التاريخية والثقافة التى نبع منها اسلوب مسعودة، من دون شك سوف نتشارك جميعًا فى الاستخفاف بذلك الفنان الذى وصفه "حسين أمين" مؤسس المدرسة الفنية المعاصرة فى مصر:" ..**إبراهيم مسعودة يرتفع عن الشاعرية المألوفة فى بساطتها**

[١] للاسف الشديد نماذج اللوحات التى اطلعت عليها وتخص مسعودة فى فترة متأخرة ربما تعود لنهاية الخمسينات أو مطلع الستينات، على درجة كبيرة من الإتقان والروعة؛ تفوق بكثير لوحة الشيطان ملاك الليل الحارس ولكنها فى حوزة اسر وعائلات رفضت الإشارة لملكيتهم لها-أو نقل هذا النوع من المعرفة للجمهور المتطلع لإكتشاف عالم "مسعودة"-(وفقًا لالتزام ووعد قدمته لا املك الإشارة لتلك اللوحات المفقودة لمسعودة)- ومع ذلك أعتقد ان هذه الدراسة الجادة عن لوحة "الشيطان" وباقى الدراسات التى قمت بها عن حياة الراحل مسعودة سوف تسهم فى المستقبل فى إلقاء الضوء على واحد من أهم الفنانين المصريين فى تاريخ التصوير الحديث.

[٢] كتبت الصحافة المصرية عن لوحات مسعودة عندما عرضت ضمن مجموعة السرياليون: "هى محض رسوم ضعيفة لا ترقى أصلا لعرض متحفى أو غيره جاءت من الشارقة وهى رسوم مليئة بأخطاء لا يقع فيها طالب إعدادى فنون"أحمد الجنايني: "السريالية المصرية ... اللغز وجنائزية المشهد؛هل ثمة نوافذ بديلة؟"؛ جريدة القاهرة، مقال نشر بتاريخ ٢٩-١٠-٢٠١٦.

وسذاجتها إلى سمو مهذب فى روحانية عميقة صفية. تعكس ما يتصف به ابراهيم من عمق ونضوج"[٣].

أهداف البحث

تحاول هذه الدراسة تتبع الأفكار التشكيلية والتكوينية والإيحائية التى استخدمها "مسعودة" فى لوحته، لاكتشاف هل هو شخصية ارتجالية سطحية؟ أم أن له رؤية عميقة؟ وربما رمزية مطمورة داخل عمله، حاولت الدراسة من خلال البحث فى أعداد مجلة التطور والتى تعد كتاب الشروح الشفهية لفكر العديد من الفنانين الذين عاصروا تلك الفترة ومن خلال مقارنة نص استخدمه " أنور كامل" عن الشيطان ومحاولة تتبع أوجه الاختلاف والتطابق بينه وبين الشخصية التى تظهر فى منتصف اللوحة–إكتشاف رؤية مسعودة لتكوين اللوحة وبنية العمل– وانطلاقًا من هذا الربط ودون الاعتماد عليه بشكل مطلق حاولت الدراسة تتبع كل العناصر الأخرى والتكوينات التشكيلية التى استخدمها مسعودة فى لوحته من خلفيات وفكرة اتزان وإعادة قراءة للعناصر وحتى على مستوى الإيحاءات اليهودية– وجميع تلك الدراسات أظهرت أن اللوحة ليست بتلك السذاجة التى تبدو عليها للوهلة الأولى.

١– **مدخل لفهم اللوحة:** اللوحة هى من مقتنيات مؤسسة الشارقة للفنون، زيت على قماش مقاس (٧٢سم ×٨٢,٥سم)، صنفت بأنها أحد لوحات "مسعودة " التى تعود لمطلع الخمسينات[٤]، تعتبر هذه اللوحة من أكثر لوحات مسعودة المتقدمة والتى بلا شك تعود لفترة متأخرة فى الخمسينات، حيث استهوته أجواء الاساطير والشخصيات الخيالية لعبد الهادى الجزار ولكنها لم تغادر أبدا اسلوب إبراهيم مسعودة الحائر والمتردد.

لم يصرح الفنان لجمهوره فى لوحته؛ هل ما يشاهده هو ملاك أم شيطان؟ رجل أم إمرأة؟ طيب أم شرير؟ اكتفى فقط بلمحة إنه يطير بمفرده فى السماء، هذه اللمحة تدلل عليها مشهد القلعة الحمراء البعيدة فى خلفية اللوحة، بينما تقف وردة غريبة معلقة، ضربات الفرشاة المترددة والمفعمة بالحيوية، تجبر عين المشاهد أن يتحمل نصيبه من فهم العمل الفنى المعروض؛ فالفنان هنا لا يجيب عن أسئلة ولا حتى يطرحها، إنما هو يتحدث إلى نفسه

[٣] **حسين يوسف أمين:** كتيب معرض جماعة الفن المعاصر١٩٤٨ (المعرض الثانى)- مجموعة خاصة لدى أسرة عبد الهادى الجزار -القاهرة.

[٤] هذا التصنيف جاء فى فعاليات معرض: "حين يصبح الفن حرية؛ السرياليون المصريون(١٩٣٨-١٩٦٥) والذى عقد فى القاهرة فى الفترة ٢٨ سبتمبر ٢٠١٦ بقاعة قصر الفنون- دار الأوبرا المصرية، وهو نفس التصنيف المستخدم من قبل مؤسسة الشارقة للفنون (الإمارتية) واللوحة لاتحمل عنوان.

بصوت هامس تتسل أفكاره الحائرة إلى عين مشاهد اللوحة يكاد يسمعها مثل متلصص فضولى.

شخصية "الشيطان" بالنسبة لإبراهيم مسعودة لا تتمتع بذلك الحضور التقليدى لدى الموروث التاريخى سواء فى الثقافة الشعبية اليهودية–القرائية أو المصرية فلقد صاغته رؤى وأطروحات فنية شكلتها جماعة الفن الحر[٥] أو جماعة الفن المعاصر؛ فمثلًا فى العدد الأول لمجلة التطور وهو العدد الذى شهد إعلان جمعية الفن المستقل؛ نشر به مقال فريد لأنور كامل عن شخصية الشيطان جاء كمحاورة بين إمراة والشيطان؛ الشيطان هنا هو "إبليس" الذى تناشده المرأة تحاول أن تفهمه فتتطرح عليه نفس السؤال لا تمل من إعادته وتكراره؛ "**متى أفهمك؟ متى أفهمك؟**" وفى كل مرة يقدم لها الشيطان إجابة مختلفة لتعود وتسئله "**متى أفهمك؟ متى أفهمك؟**" ومع كل إجابة تتكون لدى القارىء فكرة جديدة عن الشيطان وربما هذا ما سعى أنور كامل لطرحه على جمهور الفنانين:

"إبليس" مجيبًا المرأة الشاكية: "**لا يفهمنى أيتها المخلوقة إلا إنسان اخترق الطبقات الزائفة المتراكمة على صفحات نفسه، لا يفهمنى إلا من استقر على الحقيقة المحتجبة فى أعماقها.. الناعمون بكل شيىء فى هذه الحياة، اللذين اخذوا نصيبهم من الدنيا وساروا فى موكب الجماعة المنتظم سعداء ليسوا فى حاجة إلى**"

يعود إبليس فيقول: " **أنا بذرة السرقة فى هذه الأرض. ما سولتها إلا للذين أحسوا بألم الجوع كلذع السياط. ما أبحتها لفرد إلا عندما سرقه المجموع فى رعاية القانون**"

إبليس: "**أنا بذرة الشهوة المتمردة، أنا بذرة الحب الخارج على القانون.. ما أبحته لفرد إلا عندما حرمه المجموع من اللذة الكبرى**"

إبليس: "**أنا ملجأ المظلومين فى هذه الدنيا اضع فيهم بذرة الثورة على المقاييس والأوضاع وأنا فى هذا صوت من أصوات الطبيعة وسر من أسرارها**"

ثم يدور الحوار بين المرأة والشيطان عندما تحاول لمسه فتكتشف أنه هواء (فضاء)

---

[٥] أحيانًا يرد إسمها كجماعة الفن المعاصر.. من المؤكد أن مسعودة كان على إطلاع بأدبيات و أطروحات جماعة الفن والحرية حيث شارك فى معرضهم فى عام ١٩٤٤ عندما كان لا يزال طالبًا فى كلية الفنون الجميلة ومن المحتمل جدًا أنه تأثر بأفكارهم قبل أن ينضم لجماعة الفن المعاصر.. **إيمه آزار؛ ترجمة إدوارد الخراط :"**التصوير الحديث فى مصر حتى عام ١٩٦١"، المركز القومى للترجمة؛ القاهرة٢٠٠٩، الفصل الثالث؛ ص٣٧٠؛ تحدث إيميه آزار عن مشاركةإبراهيم مسعودة لجماعة الف المعاصر (من ص٩٦٣-١٠٠) والأشكال (٦٤:٦٩).

فترتد وجله ليذكرها الشيطان بانه ليس إلا وهم ويشرح لها أن الشيطان ليس إلا الغريزة التى تحارب الضمير، وهو ليس الضمير الذى يدفع للخير وينهى عن المنكر ولكنه صوت المجموع؛ وعن ذلك يقول الشيطان: "**أنا الأقوى؛ أنا ظل للطبيعة ورمز، ستشاهدين المعركة. النصر دائمًا لى**".. تحاول المراة ان تستبقى الشيطان ولكنه يرفض قائلاً:

"**ليس لدى من الوقت متسع. أصوات لا تسمعينها تهتف بإسمى فى كل مكان.. كم فى هذه الأرض من نفوس معذبة فى حاجة إلى!**.. تسطعطفه المرأة فى البقاء فيرفض، تستعطفه فى أن يعطيها دواءً فيقدم لها قارورة مرة الطعم وهو يقول:

"**جرعة عند الليل تفتح عينيك على ضوء النهار ساطعة يانعة، غدا اعود إليك على جناحى شعاع من نور**"– تبقى المراة وحيدة لتشاهد العالم من حولها وقد تبدد ظلام الليل و صار نورًا، فتنشد غابة متحجرة وتقول: "**غردى أيتها الغابة المتحجرة. ما أصفى هذا الصباح نفسى!**" [٦]، ثم ينعق الغراب و تعود المرأة لتشعر بالوحدة والشؤم[٧]

مما لا شك فيه أن أعداد مجلة التطور كانت متاحة لإبراهيم مسعودة خلال دراسته فى مدرسة الفنون الجميل أو خلال اتصاله مع الشباب المتحمس للتجديد الفنى أو جماعة الفن المستقل التى اتخذت من مجلة التطور منبرًا لها[٨].. لو راجعت ما كتبه "أنور كامل" مع رسومات مسعودة لن تجد الوصف والحوار بعيد عن ضربات فرشاة الرسام.. هذا فى حالة واحدة، إذا افترضت أن ما تراه هو شيطان مجنح له عدة قرون وليس ملاك يرتدى تاج من الذهب يتناسب مع الرداء الذهبى اللامع الذى يرتديه أو ترتديه الشخصية– للاسف الشديد حتى الراحة فى معرفة هل المرسوم رجل أم إمرأة؟.. هذه الدرجة البسيطة من الراحة لم يقدمها الرسام لجمهوره فى الوقت الذى نجح فيه باستخدامة للنسب الجسم ذات الإستطاله أن يقنع مشاهديه أن ما يرونه هو شخصية بالغة؛ بغض النظر عن جنسها او ما هيتها ؟

[٦] لاحظ هنا ان كلمة الغابة المتحجرة ترمز للمدينة ومبانيها المتشابكة.

[٧] أنور كامل؛ قصة بعنوان: "بين إبليس والمرأة"، نشرت فى مجلة التطور العدد الاول؛ الصفحات٢٧-٢٩، انتهت المقالة بهذه الملاحظة الشارحة والمفسرة لفكرة محرر المجلة: **"المرأة التى تخدم الرجل، والرجل الذى يخدم الرئيس، كلاهما من طبقة واحدة؛ طبقة العبيد".**

[٨] تأسست حماعة الفن المستقل فى يوم ٩ يناير من عام ١٩٣٩ وحددت لها ثلاثة أهداف عرضت على الجمهور فى معرضها الثانى: **أولًا:** الدفاع عن حرية الفن والثقافة؛ **ثانيًا:** نشر المؤلفات الحديثة، وإلقاء محاضرات وكتابة خلاصات عن كبار المفكرين فى العصر الحديث؛ **ثالثًا:** إيقاف الشباب المصرى على الحركات الأدبية والفنية والإجتماعية فى العالم؛ **كانت هذه هى المادة الأولى لتأسيس الجماعة بينما نصت المادة الثانية على بعض النقاط الإدارية وكلا المادتنان نشرا فى العدد الأول من مجلة التطور** العدد الأول- رئيس التحرير، أنور كامل، القاهرة ١٩٣٩-ص٦٤؛ **سمير غريب:** "السريالية فى مصر،ص١٨.

هى تعرف ماذا تصنع و تدرك جيدًا إلى أين هى ذاهبة؟ فى هذا الليل!

الليل فى اللوحة هو أحد العناصر الغامضة أيضًا أو ربما هو الدليل الوحيد الذى قدمه الفنان لمشاهديه، وهو نفسه تلك الرسالة الغامضة "ليس كل ما تشاهده حقيقة أو كما هو بالفعل" من السهل إكتشاف هذه الرسالة المشفرة والإطلاع على طبيعة ليلية المشهد فى لوحة "الشيطان ملاك الليل الحارس"–إذا حاولنا تخيل الألوان معكوسة(Inverted)–اليوم يسهل تحقيق مثل تلك الغاية باستخدام برامج الحاسوب؛ (Adobe–Photoshop) ولكن السؤال الذى يستحق الإجابة بعيدًا عن المراوغة، هل كان مسعودة فى زمن خمسينات القرن الماضى يجيد لعب مثل هذه اللعبة؟– بالطبع البساطة والسطحية ليست بالمدخل الجيد للتعامل مع أفكار "مسعودة"– ولكن مسعودة نفسه كان يجيد التعامل مع أفكار البسطاء دون أن يفرض عليهم غرابة خياله وأطروحاته الفنية، كان يفضل لهم أن يكتشفونها بانفسهم أو يتركهم يتخبطون فى البحث عنها، هذا أحد الأمور اليسيرة التى يمكن للقارىء العادى أن يكتشفها عن مسعودة من خلال متابعته لمحاوره اليهودى القرائى من جريدة الكليم[٩].

شكل (١)إلى اليمين لوحة ملاك الليل الحائر بالألوان التى استخدمها مسعودة،
وإلى اليسار اللوحة كما تظهر عندما يتم عكس القيمة اللونية للألوان المستخدمة بها

[٩] الكليم؛ مقال بعنوان:"الفنان إبراهيم مسعودة"، العدد ٢٢٢، اول مارس ١٩٥٥، ص٤.

٢- العالم العجيب بعين إبراهيم مسعودة: عندما تعكس القيمة اللونية لعناصر اللوحة تصبح المدينة الحمراء الداكنة، والمخيفة متألقة كما لو أنها أكثر عناصر اللوحة بهجة وإشراقًا، كذلك تصبح الوردة الغريبة التى كانت قابعةً طوال الوقت معلقة فى السماء بلا معنى؛ فتستحيل تلك النجمة المضيئة المبهجة التى تتعلق بها عين المشاهد، تغدوا هنا وهناك ثم تعود ثانية للبحث عنها كما لو أنها بوصلة تهدى المسافرين الضالين فى عتمة الليل.

الشيىء الملفت فى هذا التكوين الجديد هو أن المشاهد للمرة الأولى يكتشف ان وجه الشيطان أو الملاك او الرجل أو المرأة أيًا ما كان قد ذاب وسط فراغ وظلمة الليل وهو ما يعيدنا تمامًا لنفس الوصف والقصة التى رواها انور كامل محرر مجلة التطور؛ ولكن هذه المرة ساقتبس نفس الكلمات التى استخدمها:

"**تعانقه فتنطبق يداها على الفضاء ، ترتد وجلة**"-**إبليس يذكرها: "ما أنا إلا وهم!"**

فتسئله المرأة: "**أحقًا أنت خيال؟ أكاد أكذب نفسى!-كيف تكلمنى إذن!كيف أراك وكيف أسمعك؟**"

ثم يقول الشيطان شارحًا لها:

"**انا أنت.. .. أنا جزء منك أنا جزء من عقائدك ممثلة فى الغرائز**"، فتجيبه المرأة متحدثة عن شيىء هو نقيض الشيطان[١٠]: "**فى كيانى قوة أخرى تقابلك. قوة لها شانها وخطرها. قوة خلقت لتحاربك**"

يرد أبليس فيقول:"**صوت المجموع ممثلًا فى الضمير.انا الأقوى: أنا ظل للطبيعة ورمز. ستشاهدين المعركة. النصر دائمًا لى.**"[١١]

الأن وبعد كل هذه المصادفات والمقابلات بين نص "أنور كامل" ولوحة "مسعودة" لم يعد من السهل قراءة هذه اللوحة دون النظر والتأمل فى ذلك النص، الذى لم يترك لقارئه أى مجال للشك فى الاختلاط واللبس القائم بين شخصية الشيطان والمرأة الشاكية؛ تبقى بعض الأمور و الملاحظات البسيطة يمكن الإشارة لها قبل مغادرة لعبة الـ(Invert):

[١٠] لاحظ أن كلمة نقيض تعنى الـContrast

[١١] **أنور كامل؛** قصة بعنوان: "بين إبليس والمرأة"، نشرت فى مجلة التطور العدد الاول؛ الصفحات٢٧-٢٩.

فى المشهد النهارى يبدو وجه الشيطان المرأة مبتسمًا فى وداعة ولكن فى المشهد الليلى تصبح الإبتسامة أكثر صخبًا ومجونًا، كل البراءة التى ميزت وجهها نهارًا اختفت ليلا، من الصعب تحديد هل هى غاضبة؟ أم ساخرة؟- أم مفعمة بحياة ليلية شيطانية؟..

فى المشهد النهارى تبدوا كل الأشياء كما لو كانت تحترق وتشتعل بالنيران ولكن ليلا يتحول هذا الإحتراق إلى نوع من الامتزاج والتناغم العجيب ويصبح الشيطان أحد الأجرام المضيئة فى المساء.

ربما أى من تلك الأفكار لم يخطر بمخيلة الرسام وترك فرشاته تقود مشاعره المضطربة الخجولة وترسم له عالم جميل مبهج بعيدًا عن الشياطين، وربما كان نص"أنور كامل" يعبث فى مخيلته طوال الوقت وما أن وجد الفرصة مناسبة له استغل غفلة الفنان ليخرج على صفحة اللوحة، من الصعب الحكم على مثل تلك الأمور ذات الطبيعة الفلسفية ما لم يشرحها و يوضحها لنا الفنان، والذى للأسف صار أحد أكثر فنانى مصر غموضًا ومع ذلك هناك أمور فنية من السهل تتبعها فى إسلوب مسعودة، فى معظم لوحاته تقريبًا؛ ألا وهى عشقه المستمر لفكرة تحقيق الكمال عبر الإتزان.

٣- تتبع فكرة الإتزان فى لوحة "الشيطان ملاك الليل الحارس":

قبل دراسة فكرة الإتزان لإبراهيم مسعودة؛ وهى الفكرة التى يصر عليها فى كل لوحاته تقريبًا، من المفيد ان تفهم مغزى ذلك الإصرار، إذ أن السر لا يكمن فى إبراهيم أو "ليتو" والده والذى لم أتوصل لمعرفه مهنته، ولكن كلمة "مسعودة" فى حد ذاتها كافية على الأقل للاجابة عن إصرار الفنان الفطرى على الإتزان فى كل لوحاته. فعائلة "مسعودة" والتى حكمت مجتمع يهود مصر القرائين خلال الفترة من منتصف القرن التاسع عشر وحتى منتصف خمسينات القرن العشرين، كان معظم أبنائها ورجالها من المشتغلين فى صناعة وتجارة الذهب فى الصاغة[١٢]، تلك الحرفة التقليدية التى إمتهنها يهود مصر القرائين منذ الفتح الإسلامى لمصر.

[١٢] عائلة يهودية قرائية كبيرة سكنت فى حارة اليهود، تعتبر أحد أكبر العائلات القرائية واكثرها ثراءً؛ **" حققت بعض عائلات اليهود المستعربة قدرا من الثراء والبروز) مثل عائلة باروخ مسعودة، وعائلتي شماس**

دومًا كان الصائغ القرائى محبًا لفكرة الإتزان والتى هى مطلب أساسى لكل الأعمال الزخرفية؛ إذ كانت الهندسة الزخرفية هى قوام تشكيلات معظم القطع الفنية التى تصنع فى صاغة مصر، ولم يكن القرائين اللذين اعتادوا ارسال أبنائهم الصبيه الصغار ليتعلموا فى تلك الورش خلال فترات الإجازات أصول تلك الصنعة(١٣).

بالنسبة لطفل موهوب مثل إبراهيم مسعودة من المحتمل جدًا أنه قضى فترة من حياته كطفل فى أحد ورش الصاغة وتأثر فيها بصنعة زخرفة و تشغيل التحف والمشغولات– هذا الأثر يمكن تتبعه فى لوحاته ومن بينها "**الشيطان ملاك الليل الحارس**"؛ حيث أسهمت دراسته فى مدرسة الفنون الجميلة على تعلم أساليب وأفكار جديدة لتحقيق الإتزان بعيدًا عن فكرة التماثل المطلق والسيمترية.

كيف تحقق الإتزان فى لوحة"الشيطان ملاك الليل الحارس": قام "مسعودة" ببذل مجهود واضح لتحقيق فكرة تراص عناصر التكوين، هذه المرة لم يسعى فقط لإعادة فكرة استطالة الأجسام المفضلة لدية، ولكنه حاول التلاعب فى كل نسب جسم الشيطان ليصنع منها خطًا مستقيمًا تماما يكاد يربط بين ركنى اللوحة(١٤)، هذا المحور الذى اختلقه مسعودة يدلل عليه تاج الشيطان مع الرأس والرقبة الممطوطة، ثم الجسم المشوه الذى يستقيم بشكل مبالغ فيه مع إنحانه خجولة للفخذ سرعان ما تعود ساق الرجل فتعيدها لنفس المسار والقدم

وعبد الواحد، وكانت من الصياغ"؛ يذكر مراد القدسى الذى ارتبط بهذه العائلة بالمصاهرة أن هذه العائلة امتلكت العزب والأطيان الزراعية فى الريف المصرى إلى جانب أنشطتهم ومشروعاتهم الخاصة فى القاهرة.
عبد الوهاب المسيرى: "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" الجزء الرابع.
Murūd al-Qudsï: "The Karaite Jews of Egypt, 1882-1986), , P.20, N.13.
من فروع عائلة مسعودة؛ عائلة ليتو بارخ مسعودة(Liéto Baroukh Massouda) التى امتلكت فى شركات أوديون للتسجيلات ومحلات الذهب وآلاف من الافدنة الزراعية فى المحلة الكبرى، من أبناءها خضر باروخ مسعودة(Khadr-Barouuk Massouda)، من أبنائها د.باروخ مسعودة أو د. بروك (D. Brooks)، يهودى قرائى هاجر إلى الولايات المتحده عندما كان فى الرابعة عشر و درس طب الأسنان وهو استاذ جامعى فى ولاية فلاديلفيا ، إلى جانب الفنان "إبراهيم ليتو مسعودة".
Simon Szyszman: *"Le karaïsme: ses doctrines et son histoire"*, Bibliotheca Karaitica, Series A, ,P.124, BASSATINE NEWS ISSUE No. 12.

١٣كتب القرائى" **ليتو إبراهيم نونو"** وهو أحد محررين جريدة الكليم: **".. كانت بعض الاسر القرائية تفضل إرسال أبنائها إلى محلات الصاغة ولم يتجاوز عمرهم اربع سنوات وبذلك يمضون حياتهم جهلاء بدون تعليم، وربما يمكث بعضهم سنة او ثلاث فى المدرسة فيكون ملمًا بالقراءة والكتابة وبعدها يرسله والده إلى الصاغة أيضًا.."- ليتو ابراهيم نونو:** "رقى الطائفة يكون بالتعليم"، الإتحاد الإسرائيلى،١٩٢٨/١٢/١٨، ص٧.

١٤ المقصود هنا الركن العلوى الأيمن والركن السفلى الأيسر.

نفسها رسمت فى وضعية غير طبيعية (مقلوبة)[١٥] فقط لتقدم المزيد من الاستطالة لذلك المحور الذى اصطنعه مسعودة.

حول هذا المحور العظيم والمصطنع بدا مسعودة فى تحقيق إتزان كل عناصر لوحته؛ تارة مستخدمًا تكنيك الإتزان المتماثل (وهو النوع المفضل لصاغة القرائين) وتارة يستخدم اتزان أكثر عمقًا:

٣-١الإتزان المتماثل (Symmetrical balance): ظهر فى الأجنحة، الذراعان وإن كانا الذراعان حملا وضعية ملفته تجعلهما متماثلان منظوريًا (Perspective) وليس إسقاطيًا(Orthographical)، ثم القدم الحرة فى الخلفية والتى يفترض أنها تصنع زاوية متعامة مع الفخذ وهو جزء من الاجسام المتراصة التى صنعت محور التماثل، ولكن عند دراسة علاقتها الكلية بمحور التماثل الكامل سنجدها تميل بزاوية عليه، هذه الزاوية تكاد تكون هى نفس الزاوية التى يصنعها غصن الزيتون وتؤكد عليه قبضتا اليد الممسكتان به فى وضع التراص أيضًا، هذا التماثل أيضًا سنجده قد طبق بشكل متواضع بالنسبه لاتجاه وريقات غصن الزيتون، حول اليد، للحظة ما هذه الوضعية الغريبة قريبة الشبه جدًا من الأكاليل الرومانية تجعل عين المشاهد ترى إحدى اليدين فى هيئة وردة تتوج منتصف الغصن بينما اليد الأخرى قد توارت بعدما التحمت مع كتلة بدن الشيطان ذو المعالم غير الواضحة تقريبًا.

٣-٢ الإتزان غير المتماثل(Asymmetrical balance): وظف "مسعودة" نفس المحور العظيم الذى استحدثه فى دراسة ذلك الإتزان القائم بين المدينة الحجرية (حمراء اللون) بكتلتها الضخمة تشبه قلعة صخرية وهى قابعة فى ارضية اللوحة فى الركن السفلى الأيمن من اللوحة بينما فى الركن العلوى الأيسر وعلى الجهة الثانية من محور التماثل توجد الزهرة الصغيرة تطفو فى السماء بلا وزن تقريبًا، لاحظ ايضًا أنها حمراء اللون تماما كالقلعة ولكنها ليست مظلمة، ولا تترك فى النفس ذلك الحضور البغيض الذى تتركه القلعة.

[١٥] **عن الوضعية الغريبة للقدم :** يفترض فى هذا المشهد أن تبدو القدم لعين مشاهد اللوحة من جهة ظهر القدم طالما وجه الشيطان ظاهر، أما الوضعية التى استخدمها مسعودة جعل باطن القدم هو الظاهر ولا يوجد أى تفسير لذلك سوى أنه كان يبحث عن مزيد من الكتل المستقيمة المقتطعة التى يستطيع بها تحقيق المزيد من استطالة محوره.

نوعًا ما قد نلحظ أن الزهرة المعلقة فى خلفية اللوحة مثل نجمة تتزن أيضًا مع يد الشيطان التى تقبض على غصن الزيتون ربما بشكل متماثل، هذا الاتزان المتماثل لا نجد القلعة الحمراء تصنعه مع أى من عناصر اللوحة، فوجودها دوما مدعاة لقلق المشاهد والرسام ويدفع للمزيد من التساؤلات، ومع ذلك هناك عنصر وحيد فى تكوين اللوحة قادر على التفاعل مع كتلة القلعة، قدم الشيطان فى الخلفية ، تلك القدم الحرة البعيدة عن محور التماثل، بملاحظة الوضعية التى تتخذها (Body languge)- وتتبع اشارتها- نجدها تشير تمامًا للقلعة وهو يعنى، أن الشيطان لا يحلق فى الفضاء، والقلعة تقبع فى خلفية المشهد بل إنه متجه نحوها، ربما تكون هذه الملاحظة هى أدق ملاحظة يمكن التوصل لها فى اللوحة، والتى سرعان ما ستجعلنا ننتسائل ، إذا كانت الشخصية والتى افترضنا منذ البداية أنها أقرب إلى شيطان عن ملاك تتجه إلى المدينة الحجرية؛ حمراء اللون والتى ربما تحترق فما هى تلك المدينة؟

٤- **المدينة أو القلعة الحمراء:** توجد العديد من الاحتملات؛ مثلًا مدينة القاهرة بحكم حياة "مسعودة" الطويلة فيها، وهناك فرضية ان تكون مدينة خيالية ورمزية وهو امر يتناسب جدًا مع طبيعة اللوحة ذات الحضور الاسطورى والفلكلورى أيضًا، وهناك مدينة بيت المقدس وهو أمر قد يعيد كتابة قراءة هذه اللوحة من جديد وفقًا لصورة تلك المدينة فى مخيلة اليهودى القرائى "إبراهيم ليتو مسعودة"، ومع ذلك فرضية بيت المقدس كان لها حضور قوى لدى القرائين المتدينين من مصر ولكن فى حالة ابن مسعودة ليس من المناسب القياس عليها خاصة أنه حتى الآن توجد العديد من الأمور الغامضة فى سيرته الحياتية ومنها تلك الأمور الدينية.

٤-١ **هل هى مدينة القاهرة؟:** هذا الاحتمال لا يمكن استبعاده بسبب القمم المستدقة (Spires) التى تعلو الابنية وترسم شكل احدى مدن العصور الوسطى، وهو أبعد ما يكون عن هيئة قاهرة الخمسينات (skyline)- ومع ذلك فإن المدرسة التى ينتمى لها مسعودة هى التعبيرية والسريالية؛ بمعنى أدق؛ كان الرسام يعيش فى عالم ما بين المدرستين وهو أقرب للسريالية عن التعبيرية؛ لذلك يجب أن نستبعد فكرة الرسم التصويرى فى دراستنا لكافة أعمال مسعودة؛ وهو ما يعيدنا إلى أن هذه الصورة قد تكون فكرة وتصور مسعودة عن القاهرة، أفكار عتيقة يابسة تختنق بها المدينة وتحترق وهى فى حاجة إلى من ينقذها ويقدم

لها العون، فى النهاية هذه المدينة هى أكثر بقعة مظلمة فى اللوحة وهى أبعد ما تكون عن (النجمة–الزهرة)– المعلقة فى السماء و التى تمنح مشاهد اللوحة بهجة غير مفهومة.

٤–٢ هل هى مدينة من العصور الوسطى؟: هى إحتمالية بديهية أيضًا، خاصة لو تتبعنا الطرح القائم على أن موضوع اللوحة هو مشهد من أحد القصص الخيالية (*Fairy tales*) أو الفلكلورية(*Folk tales*) التى تأثر فيها "مسعودة" بإسلوب عبد الهادى الجزار، لاحظ هنا أنه حتى فى لوحات "عبد الهادى الجزار" لم تكن تصاوير لمشاهد حكائية لقصص فلكلور شعبى مصرى ولكن "عبد الهادى" كان يرسم احساسه بالحكاية بشخصية منها ممتزجة مع أخرى ، كانت اللوحة تظهر أفكاره الشخصية تتزاحم مع أبطال الأسطورة– لذلك لو أخذنا بهذا الاحتمال سوف نكتفى باحساس مسعودة التشكيلى دون أن نبذل المزيد من الجهد فى محاوة تفسيره.

٤–٣ هل هى مدينة القدس؟: يتشابه التكوين والشكل مع مدينة القدس ذات عمارة العصور الوسطى والتى ظلت محتفظة بهيئتها حتى خمسينات القرن الماضى فترة "مسعودة"، كذلك كانت لهذه المدينة طبيعة خاصة جدا فى نفوس القرائين، فهناك شاعرهم الأكبر "موسى الدرعى" والذى حمل اسمه أكبر معابد اليهود القرائين فى مصر؛ "معبد موسى الدرعى بالعباسية" والذى يعود بنائه إلى مطلع ثلاثينات القرن الماضى وبالتأكيد كان مسعودة من مرتاديه، وعلى اطلاع بالثقافة الشعبية اليهودية التى دومًا حملت تقديرًا عميقا لمدينة القدس يختلف فى مظاهره عن باقى الطوائف اليهودية الربانية؛ قد نراه فى كلمات مرثية موسى الدرعى كتبها فى ترنيمة (التوبة):

"لماذا نتشـــكّى بعد أن وقعنا فى الخطية" (#1:213)

"هل سأظل للأبد أسيـــرًا لأبناء الخادمـــــــة

حتى أخى قد حرمنى النـور وتسلّط على بعجـــــرفته

وحتـى مدينة القدس غدت مذبح وثنى لأمرائـــه" [١٦]

[١٦] الشرح: **حتى أخى قد حرمنى النور: المقصود** بأخى هنا المسيحيين (نسبة إلى عيسو) (=Esau Christians; cf. Gen 25:26)- هذه الملاحظة دونها ليون جى. وينبيرجير عن العهد القديم (سفر التكوين؛

,מה יש על חטאינו להתאונן

הֲלָעַד אֶהְיֶה נִשְׁבָּה/ בְּיַד יַלְדֵי הָאָמָה/ וְאָחִי נֶרִי כְבָה/ וּמָשַׁל בִּי בְּיָד)
(רָמָה/ וְגַם עִיר צִיּוֹן שָׁבָה/ אֶל אַלּוּפָיו בָּמָה

من الصعب تتبع فرضية ان المدينة او القلعة الحمراء كان مسعودة يشير بها إلى القدس الشريف من دون ان نتوصل لمعرفة شيىء عن طبيعة تدين الفنان مسعودة؛ بصفة عامة تاريخ "مسعودة" الشخصى ملىء بالغموض والأسرار لا يوجد اى معلومات عن حياته وقناعاته الدينية سوى تلك الملاحظة العابرة التى تركتها د. زبيدة محمد عطا فى مؤلفها عن يهود مصر وذكرت أن مسعودة كان يستلهم موضوعاته من التوراة"**أراد أن يجعل التوراة موضوعًا للوحاته**"[١٧]. ربما فى المستقبل يمكن للبحث الجاد أن يكشف عن المزيد من الأسرار الغامضة فى حياة الفنان المصرى.

٥- **دراسة الخلفية:** أحد الأمور المهمة والملهمة فى اللوحة هى الخلفية التى تحتل قرابة ٧٥% من مسطح اللوحة والجزء الباقى موزع مابين الشخص والقلعة، ولقد أولى الفنان "مسعودة" عناية فائقة بدارسة الخلفية، ليس فقط من حيث اللون الذى يمثل سواد زرقة الليل،

الإصحاح الخامس واعشرون الآية السادسة والعشرون): **" وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو، فدعي اسمه يعقوب. وكان إسحاق ابن ستين سنة لما ولدتهما".**

Leon J. Weinberger, Moses Dar´i, Karaite Poet and Physican, The Jewish Quarterly Review,Vol. 84, No.4 (Apr., 1994), pp. 445-483 University of Pennsylvania Press.

النص الأصلى للترجمة الإنجليزية التى وضعها(ليون جى. وينبيرجير):

"Why Complain, when we have sinned" (#1:213),.. .. " Will I be captive forever in the hands of the maidservant's sons (i.e., Ishmaelites= Muslims, cf. Gen 21:10**); even my brother (**Esau= Christians; cf. Gen 25:26**) has deprived me of light and ruled me with arrogance, and even the city of Jerusalem has become** Leon J. Weinberger, pp. 452.**-an idolatrous alter to his princes"**

Cf. B. Dinur,Yisra^{e} el ba-Golah (Jerusalem, 1965), II. 1:433-434.

[١٧]أعتقد أن هذه الفكرة او الملاحظة التى دونتها د. زبيدة اعتمدت على اطلاعها على جريدة الكليم ربما الحوار الصحفى الذى تم مع مسعودة فى عام ١٩٥٥.. بالرغم من أنى قمت بمراجعة هذا الحوار ولم أصل لتلك المعلومة، لذلك من الممكن جدا أن تكون د. زبيدة اعتمدت على مصر معلوماتى آخر من الكليم نفسها حيث أن كل أعداد المجلة القرائية لم تكن متاحة لى ، فقط ١٠ أعداد استطعت أن أطلع عليهم ضمن مجموعة خاصة بصديق، بينما توافرت المقدرة على الإطلاع الكامل لفريق عمل د. زبيدة.

زبيدة محمد عطا: "يهود مصر التاريخ الإجتماعى والاقتصادى"، عين للدراسات، القاهرة، ط١،٢٠١١، ص٢٦٥..

هذا الفراغ السرمدى اللامتناهى هو فى حالة من الحركة الدائمة؛ عبارة عن ضربات مستمرة من فرشاة الرّسام، جميعها تأخذ انحاءات وأقواس صانعة تكوينات موجية الشكل فى حركة مستمرة ومع إصرار الرسام على رسم السماء مستخدمًا اللألوان الحارة من درجات اللون الأحمر الطوبى والأحمر القانى، صار مشهد زرقة الليل الإفتراضى لا تشاهده سوى عين المتفرج ذو المخيلة الخصبة، أما ما تراه عين المشاهد المتعجل فهو عالم حار ملتهب بقيظ شديد يشتعل بنيران حارقة تؤكد عليها النهايات المشتعلة لأبراج المدينة حيث تختلط الحمرة بالدخان الأسود، احساس الحرارة الذى يراه

مشاهد اللوحة لم تتسبب فيه فقط الألوان الحارة (الأصفر–البرتقالى ودرجات اللون الأحمر المختلطة بالأسود) ولكن أيضًا تلك الحيلة الماكرة والخبيثة التى استعملها مسعودة عندما لجا لضربات الفرشاة ذات التموجات محاكيًا بذلك مشهد الهواء الساخن فى يوم حار للغاية ، أو يعلو صفيح ساخن أو زيت يغلى[١٨]، أو ربما تلك الظاهرة الطبيعة التى لا ترى

[١٨] الهواء الساخن من خواصه الفزيائية انه يتحرك لأعلى مشكلًا موجات صاعدة تشبه حركة موج البحر أو دوامات الرياح ولكنها أيضا وبسبب كون الهواء شفاف تسمح برؤية الاشياء التى تقبع خلف هذا الهواء الساخن، إلا أن هذه الأشياء و بسبب حركة الهواء لأعلى تبدوا كما لو كانت تتراقص. تسمى هذه الظاهرة فزيقيًا بظاهرة تموج الهواء بفعل الحرارة (Heat haze)، وهى تختلف عن ظاهرة "السراب" (Mirage).

تموج الهواء الساخن(Heat haze)-أو ظاهرة تزجزج الهواء: أحيانا يطلق عليها وميض الحرارة (heat shimmer) وهو مصطلح يشير لظاهرة بصرية دون السرابية عندما يشاهد الناس الأجسام من خلال هواء ساخن؛ على سبيل المثال؛ عند مشاهدة الأجسام عبر أسفلت طريق ساخن او عبر غازات حارة منبعثه من مؤخرة المحركات النفاثة للطائرات الجت او المقاتلات الحربية، تسمى الظاهرة الناتجة عن وهج وحرارة الأسفلت السريع بظاهرة سراب الطريق السريع(a highway mirage). بسبب ظاهرة الحمل الحرارى(heat convection) فإن درجة حرارة الهواء تتنوع وكنتيجة لتنوع درجة حرارة الهواء الساخن عند سطح اسفلت الطريق وكثافة الهواء البارد فقوه يظهر التدرج فى معامل إنكسار الهواء وهو ما يسبب ظاهرة وميض او لمعان الهواء الحار (heat shimmer)- والتى تؤثر على مقدرة الناس على مشاهدة الأجسام القابعة خلف ذلك الهواء بوضوح فتبدو كما لو كانت تتحرك او ترقص، هذه الصورة التاثيرية تبدو أكثر وضوحًا عندما يتم تضخيم الصورة من خلال التيليسكوب أو العدسة المكبرة.

After**: David K. Lynch & William Livingston**:" Color and Light in Nature "(2nd ed.). Cambridge, UK: press 2001,Cambridge University Press. p. 58. **Andy Young:** " An Introduction to Mirages", (http://aty.sdsu.edu/mirages/mirintro.html), © 1999 – 2012 Andrew T. Young, **Andy Young:** "Atmospheric Optics Glossary", (http://aty.sdsu.edu).

سوى فى صحراء مصر عندما تتسبب سخونة الهواء وتحركاته الموجية الصاعدة لاعلى فى تشكيل ظاهرة السراب[١٩].

فكرة عرض هذه الظاهرة البصرية فى لوحة أو عمل فنى تأثيرى أو سريالى قليلة جدا، فهذه الظاهرة من النادر مشاهدتها فى الطبيعة و تسجيلها من قبل المدرسة التصويرية الكلاسيكية نفسها، توجد لوحة بعنوان "وهج الحرارة" **(Heat haze)** تعود لعام ٢٠١١ وهى للفنان التعبيرى جابريال إنجلاند(Gabrielle England)، ولكنه اكتفى فى تمثيل الظاهرة التى حملت اللوحة اسمها باختلاف وتدرج ألوان العناصر فى اللوحة والحدود غير الواضحة بين الأجسام والعناصر والخلفية، لو قارنا هذه اللوحة مع " شيطان الليل الحارس" لمسعودة، سنجدها تمثل حالة من السكون الشديد فى مقابل لوحة مسعودة المشتعلة والتى تحمل بعض عناصرها الدخنة السوداء، فكرة الحركة المضطردة فى لوحة مسعودة تستحق منا أن نبحث جيدًا بين ميراث الرسامين التعبيريين والإنطباعيين العظماء عمن حاول من قبل رصد حركة الهواء؛ وربما سنجد الإجابة فى أحد أعمال "فان جوخ".

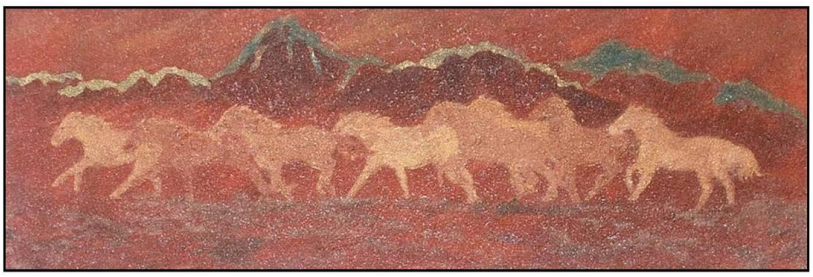

شكل (٢)
لوحة وهج الهواء (Heat haze)
للفنان للفنان التعبيرى جابريال إنجلاند(Gabrielle England)-(2011)
معتمدًا على الالوان الحارة فقط والحدود الضعيفة بين العناصر والخلفيات لم يحرز جبرائيل نصف النجاح الذى حققه مسعودة

فى "لوحة ليلة النجوم " للفنان "فنست فان جوخ" [٢٠] رائد المدرسة التشكيلية

[١٩] **السراب(A mirage):** هو ظاهرة بصرية طبيعية، وفيها تنكسر اشعة الضوء الساقطة مشكلة بذلك صورة منعكسة للاجسام البعيدة أو تعكس صورة السماء.

[٢٠] **فان جوخ:** يعتبر من رواد الفن التشكيلي- او (المدرسة الإنطباعية) ومن اهم رموزه لانه شكل واقعه بشكل مغاير عما كان متعارفا عليه في وقت سيادة المدرسة الكلاسيكيه .ومع ان لوحاته في حياته لم يكن عليها اي اقبال او تقدير فبعد مماته وحتى يومنا هذا تعتبر اعماله مدرسة من مدارس الفن العريق واصبح تشكيل الواقع بعيون الفنان سمة ضرورية لاي فن تشكيلي متميز.

والإنطباعية[٢١]؛ والتى تعود لعام ١٨٨٩ والتى رسمها للسماء كما رآها من شباك المصحة النفسية التى كان يتلقى علاجه فيها، فبالنسبة لمريض نفسى محبوس داخل حجرة فى مشفى، فإن النافذه هى الأمل الوحيد بالنسبه له، اما الليل الطويل والذى يمر على المنعمين بترف الحياة لا يستغرق منهم سوى لحظة واحدة قصيرة ثم يعودون للاستمتاع بليلتهم مع من يحبون او ما يحبون، أما المريض المحبوس فهو يظل ينتظر وينتظر بدون أمل وبلا جدوى لساعات وساعات؛ عندها سوف يشاهد تلك الظاهرة السماوية التى لا يعبأ بها احد وهى حركة النجوم البطئية والمستمرة فى قبة السماء، تلك الحركة اللطيفة الهادئة (يكاد لا يلحظها متملل) والتى تتداخل مع حركة الغيوم الليلة مشكلة دوامات و تكوينات بديعة، من قبل لوحة فان جوخ رسم العديد شكل سماء الليل(ربما منذ عصر قدماء المصريين) ولكن حركة هذه السماء ووقت الإنتظار الطويل والوحدة فى غرفة مصح عقلى هى انطباعات فان جوخ التى تركها لنا، قدرة فان جوخ على إبراز حركة السماء فى تلك اللوحة لا تقل فى روعتها عن ابداع مسعودة وهو يصور السماء المشتعلة فى لوحة "الشيطان ملاك الليل الحارس"موظفًا ظاهرة تموج الهواء الساخن.

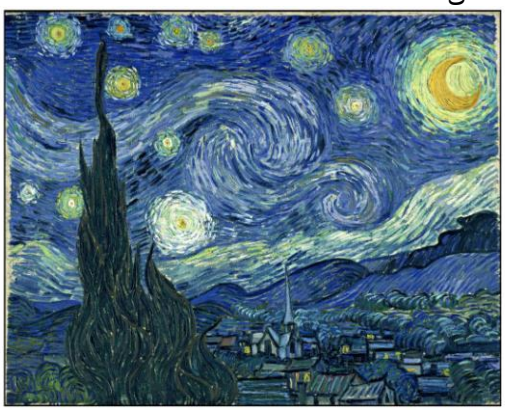

شكل (٣)
لوحة نجوم الليل للفنان فان جوخ ١٨٨٩- محفوظة بمتحف الفن الحديث بنيويورك
The Starry Night Oil on canvas 73 × 92 cm, 28¾ × 36¼ in
لاحظ نفس درجات الالوان المستخدمة تقريبًا هى نفسها التى استخدمها مسعودة فى لوحته ولكن بشكل معكوس
الإسقاطات اليهودية والقرانية

[٢١] **المدرسة التشكيلية (Representational School of art) :** شملت فنون هذه المدرسة؛ الرسم والتصوير والنحت والفيلموغرافي وكل فن يشكل الواقع بعين الفنان ورؤيته الخاصه . هناك من يظن ان الفن التشكيلي يختص بالرسم والنحت فقط وهذا خطآ شائع بل هو يشمل كافة الفنون البصريه. البعض يطلق عليها المدرسة التعبيرية.

٦- "**أراد أن يجعل التوراة موضوعًا لـ لوحاته**"[٢٢]؛ فى دراسة أى عمل لمسعودة دوما أضطر للتوقف عند هذه الملاحظة، ربما لم يكن من السهل لى ان اصل للمرجع الذى بنيت عليه تلك الملاحظة، ومع ذلك حتى لوحاته التعبيرية على قدر كبير من الغموض بحيث من الصعب تتبع ذلك الأثر، السريالية نفسها عبارة عن نوع من الشيفرة- يدون فيها الفنان افكاره ومشاعره بطريقة غامضة ومضطربة كما فى حالة مسعودة- إلا أن هناك بعض العلامات والدلالت البسيطة التى يمكن التوقف عندها وتتبع رمزيتها فى الديانة اليهودية أو المذهب القرائى:

٦-١ **نجمة داوود:** لن نراها فى الوردة ذات الستة بتلات و بالطبع ليس فى القلعة الشريرة ذات الخمسة أبراج (لاحظ ان النجمة الخماسية فى كثير من الثقافات ترمز للسحر والشعوذه)- ومنذ زمن طويل استخدم القرائين المصريين تعويذه على شكل يد أصابعها تتراص فى شكل هرمى الشكل الاوسط هو اعلاهم، وهى تعويذة ترمز لطرد السحر والأرواح الشريرة[٢٣]- ومع ذلك حتى هنا لن نبحث عن هذه النجمة لأنها كبيرة و حرص مسعودة على إخفائها بعناية شديدة؛ هذه النجمة الخفية يمكن ان نشاهد المثلث المقلوب فيها وقد رسمت جناحا الشيطان قاعدته بينما رأسه هو نقطه تقع على محور التماثل دلل عليها التناقص المستمر فى شكل الكتلة كلما اقترب منها، أما المثلث المعدول فسوف نجد قاعدته قد رسمتها نقطتان قويتان جدا فى اللوحة ؛ النجمة الزهرة و يقابلها على الجهة الأخرى من محور التماثل قبضة يد الشيطان تمسك بالغصن، و راس هذا المثلث هو رأس الشيطان نفسه، الزوايا التى صنع بها كلا المثلثان تكاد تكون متطابقه وهو ما يميز نجمة داوود وأيضا تكاد اضلاع المثلثات ٦٠ درجة ولكن لكل مثلث مركزه، مما سيعطينا فى النهاية نجمة فى

[٢٢] **زبيدة محمد عطا:** "يهود مصر التاريخ الإجتماعى والاقتصادى"، عين للدراسات، القاهرة، ط١،٢٠١١، ص٢٦٥..

[٢٣] توجد ملاحظة غريبه أوردها "مراد القدسى" عن القرائين؛ تتحدث عن تأثر القرائيين المصريين بثقافة جيرانهم المسلمين فيما يتعلق بطرد الأرواح الشريرة وكراهية الحسد واستعانتهم بتمائم وأحجبة تحمل آيات من القرآن الكريم: "بعض النساء القرائيات وبخاصة من الفقراء، تأثروا بجيرانهم من المسلمين وأرتدوا تمائم لطرد العين الشريرة والأرواح الشريرة.. ويستشهد مراد القدسى بسورة "الفقلق" وسورة "الناس" وهما المعوذتين فى القرآن الكريم، ويبدو أن هذه الآيات الكريمة كانت معروفة لجمهور متواضع من القرائين وربما تكون مستعملة؛ إذ أن أى منها لا يخالف الشريعة اليهودية، كما يوضح "مراد القدسى" ان الثقافة الشعبية لدى فئة كبيرة من القرائين غير المتعلمين وخاصة الفقراء كانت متواضعة؛ فحتى نهاية الربع الأول من القرن العشرين كان فقراء الطائفة يعتمودن فى التداوى على العطارين وطب الأعشاب أو "الطب الفلكلورى " كما أطلق عليه.
Murūd al-Qudsï: "The Karaite Jews of Egypt, , USA,2nd Press 2006, P.164."..

وضع مشوة أو لنقل فى وضع ديناميكى يتسق مع كل شيىء فى اللوحة– ربما منبع هذه الفكرة ليس دينى بقدر ما هو اسلوب فنى ربما توارثه القراؤون فى وزن أعمالهم الفنية بناء على شبكية هندسية تصنعها نجمة داوود[٢٤]– واستخدمه مسعودة بشكل تلقائى لا واعى– لذلك من الافضل الاشارة لهذه الملاحظة دون التوقف كثيرًا عندها. خاصة فى ظل غياب كامل لدراسات متعمقه لأعمال مسعودة الفنية.

٦-٢غصن الزيتون: وهو الفرع الاخضر الذى يحمله الشيطان فى اللوحة؛ رمز للسلام استخدم تقريبًا من جميع الأمم والحضارات التى تعتقد فى العهد القديم و قصة طوفان نوح عليه السلام وعودة الحمامة التى أطلقها تبحث عن أرض لتكون مرسى للسفينة، فعادت وهى تحمل غصن الزيتون فى منقارها، القصة رمزية إلى حد كبير ولكن القرائين على وجه الخصوص تعلقوا بها بشكل حرفى، فخلال حفلات الخطبة القرائية المصرية كانت تقدم خواتم الخطبة فى منديل أبيض من الحرير (إذ كان اللون الأبيض يرمز للعذرية والعفة) مع غصن من شجرة الزيتون يرمز للمستقبل الطيب؛ وعندما لا يجد القرائين غصن زيتون كانوا يستخدمون غصن الآس(myrtle) أو غصن الحلداس المظفر (Las Hadas) وجميعهم من النباتات التى استخدمت بشكل خاص من قبل يهود مصر القرائين فى تزيين سوكة عيد المظلة، إذ كانت تبنى تلك السوكة من الخشب وتقام فى ساحات معابدهم (موسى الدرعى بالعباسية وراب سمحاة بحارة اليهود القرائين) وتزين بأفرع النباتات السابق ذكرها باللإضافة لأفرع من نباتات النخيل والزعفران وبعض الفواكه والثمار[٢٥].

٧- الأجسام الممطوطة ذات الاستطالة:

اعتاد مسعوده فى كل لوحاته ان يتلاعب بنسب وشكل الجسم الإنسانى، الامر نفسه قد يفسر من ناحية دينية توافرت لدى اى قرائى متدين؛ تبعًا لما جاء "الوصية الثانية من الوصايا العشر" والتى جاء نصها كاملًا فى العهد القديم فكيف الحال بطائفة القرائين أنفسهم:

[٢٤] كذلك كان الفنانون المسيحيون يقومون بوزن أعمالهم الفنية سواء النحتية أو الزخرفية او حتى المبانى الضخمة التى يشيدونها من قصور وكنائس بناءًا على شبكية وهمية مشتقة من تكوين الصليب، إحداها عرفت بالصليب اللاتينى (Latin cross) وهو الصليب المشتق من تنسب جسم الانسان، وانتشرت فكرته فى بلاد غرب أوروبا والعمارة القوطية والرومانسكية، وهناك "الصليب اليونانى"(Greek cross) وهو صليب هندسى متماثل استخدم بكثرة فى أوروبا الشرقيه.

[٢٥] **Murūd al-Qudsï:** "The Karaite Jews of Egypt, USA,2nd Press 2006, P.172-"..
, 174,177.

"لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَـاءِ مِنْ فَوْقُ،

وَمَـا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَـاءِ مِنْ تَحْـتِ الأَرْضِ"[٢٦]

ربما هو فى النهاية كان يحاول رسم كائنات أخرى تجريدية بعيدة عن تلك التى كانت تسكن عالم الأر ض أو السماء او عالم ما تحت الأرض، من السهل على مشاهد مسعودة ان يرى ويستوعب احساس الفكرة ويهبط بها إلى عالم الكائنات والمخلوقات دون ان يصرح بها الفنان مباشرة، ربما هذا التفسير جيد لفهم الفنان القرائى "مسعودة"، ولكن تظل تلك الشخصيات تثير الكثير من الاسئلة- لماذا نسب الأذرع تكاد تكون فى حجم نسب الأرجل- هذا الأمر يكاد يجعلها تبدوا مثل كائنات حيوانية تسير على اربع أكثر منها بشرية- ربما قد شبّت فقط لحظة إلتقاط الصورة- الأجنحة التى تبدوا صغيرة نسبيًا لا تقدر على حمل وزن الكائن- و هى نفس الفكرة التى اصطنعها رافائيل فى عصر النهضة- الأقدام الضخمة جدًا والايادى الضخمة- فى فترة مسعودة كانت تلك الفكرة تستخوذ على مخيلة العديد من الفنانين المصريين مثل حامد ندى وعبد الهادى الجزار.

شكل (٤) دراسة لنسب الجسمية للشخصية التى ظهرت فى لوحة
"الشيطان ملاك الليل الحارس" لإبراهم مسعودة

[٢٦] العهد القديم: سفر الخروج، الإصحاح العشرون؛ الآية الرابعة.

فى الشخصية التى ظهرت فى لوحة "شيطان الليل"- سوف نجد هناك دراسات تشريحية غامضة استخدمها مسعودة لا تظهر سوى عند فصل بطل اللوحة عن الخلفية وإعادة دراسته بمفرده؛ اذ انه يحتوى على "خصران"- أحدهما لرجل من الأعلى والأخر لسيدة من الاسفل- وهذا هو التكنيك الاساسى الذى استخدمه مسعودة فى زيادة استطالة بطله- ليصنع منه ذلك المحور الكبير الذى بنى اتزان لوحته من خلاله. هذا الامر يستحق التوقف والتأمل حول التعريف "الجنسى" للشخص الذى يظهر فى اللوحة بالذات وأنه يحمل ملامح وجه سيدة- (وسيمة)- بعيدًا عن ذلك يتبقى التاج الملتحم تماما مع خطوط الوجه- ذو الهيئة القبيحة- و التى تجعله اشبه لمجموعة من القرون التى تنبت فوق راس بطل اللوحة.

٨- **النتائج والتوصيات:** يمكن القول أن لوحة "مسعودة"- المصنفة ضمن مجموعة الشارقة بلا عنوان- والتى تم الإشارة إليها فى هذه الدراسة تحت اسم "شيطان الليل الحارس" هى واحدة من افضل لوحات مسعودة التعبيرية أو السريالية والتى تحمل قيمة دراسية فنية عالية- ربما تكون فى المستقبل هى مدخلنا لفهم عالم مسعودة الغامض؛ فلفترة طويلة كانت تصور لوحات مسعودة بأنها ساذجة تحمل القليل جدا من الحرفية الفنية مقارنه بأعمال زملائه حامد ندى او عبد الهادى الجزار، ولكن الدراسة اظهرت أن اعمال مسعودة تحمل قيم وأفكار عميقة حقق الفنان رغبته فى إخفائها عن عين المشاهد الساذج او المتسرع- لقد كان مسعودة حتى عام ١٩٥٦ أحد الفنانين الأربعة الذين صاغوا مدرسة الفن المعاصر فى مصر وبالرغم من ذلك فإن ميراثه الفنى قد اختفى وأهمل سواء من زملائه الفنانين أو النقاد الفنيين والأكاديميين؛ وليس لأسباب فنية بقدر ما هى سياسية- اليوم لم يعد احد يعرف من هو مسعودة وما من احد يتسائل عن ديانته أو وطنيته التى من المؤكد أنها يومًا ما كانت محل تسؤل الجميع.

ملحق الصور

شكل (٥)

لوحة"الشيطان ملاك الليل الحارس"لإبراهيم مسعودة

The Devil; Angel of the night

من مقتنيات مؤسسة الشارقة للفنون، زيت على قماش مقاس (٧٢سم ×٨٢,٥سم)،

شكل (٦)

التكوين فى لوحة"الشيطان ملاك الليل الحارس"لإبراهيم مسعودة

و تحقيق فكرة الإتزان (وضع معدل للوحة لشرح فكرتى الإتزان المتماثل وغير المتماثل)

من اعداد الباحث

شكل (٧)
دراسة الخلفية و بيان ضربات الفرشة التى استخدمها مسعودة
لتجسيد حرارة الهواء المتصاعد

شكل (٨)
مجموعة صور فوتوغرافية لظاهرة تزجزج الهواء أو تموج الهواء (Heat haze)؛
وهى ظاهرة طبيعية تتسبب فى الخداع البصرى

Photos after: www.dpreview.com/ Peter MG, http://www.abc.net.au,
http://s745.photobucket.com/ 2e1var's Bucket

أنسب مكان لمشاهدتها هى ساحات المطرات وعبر ممرات الإقلاع الساخنة فى الصيف، خاصة عندما يقوم محرك الطائرة النفاثة بدفع كمية كبيرة من الهواء الساخن، جاعلًا الأشياء و الأجسام التى ترى عبر هذا الهواء تبدوا كما لو كانتت تتراقص أو تشتعل بالنيران.

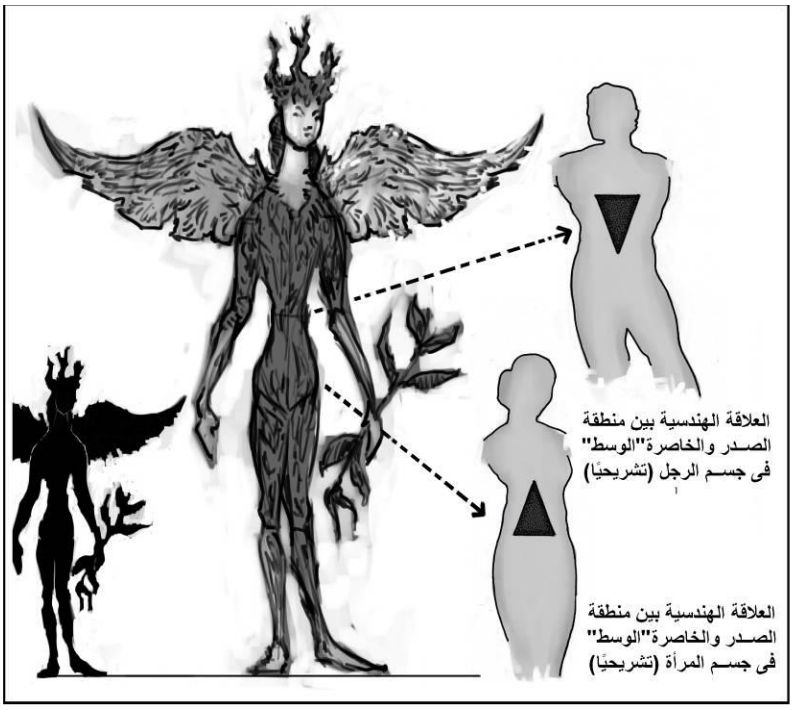

شكل (٩)

استنتاط مسعودة ان يحقق النسبة الممطوطة و الرشيقة نوعًا ما للشخصية التى رسمها مستخدمًا فى ذلك علاقتين هندسيتين لخصر الرجل والمرأة معًا؛ فى نفس الشخصية– جاعلًا بذلك التكوين الجسمانى للشخص الذى أشرنا له بأنه يمثل الشيطان له من اعلى هيئة رجل من الناحية التشريحية بينما من أسفل يبدو كسيدة من الناحية التشريحية أيضًا

المراجع:

١. **أحمد الجنايني:** "السريالية المصرية ... اللغز وجنائزية المشهد؛هل ثمة نوافذ بديلة؟"؛ جريدة القاهرة، مقال نشر بتاريخ ٢٩-١٠-٢٠١٦.
٢. **أنور كامل؛** قصة بعنوان: "بين إبليس والمرأة"، نشرت فى مجلة التطور العدد الاول

١٩٣٩.
٣. **إيمه آزار: ترجمة إدوارد الخراط** :"التصوير الحديث فى مصر حتى عام ١٩٦١" ، المركز القومى للترجمة؛القاهرة٢٠٠٩.
٤. **زبيدة محمد عطا:** "يهود مصر التاريخ الإجتماعى والاقتصادى"، عين للدراسات،الطبعة الاولى، القاهرة، ٢٠١١.
٥. **سمير غريب:** "السريالية فى مصر"، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٤.
٦. **عبد الوهاب المسيرى:** "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" الجزء الرابع؛ دار الشروق ٢٠٠٤.
٧. **الكتلوج الرسمى لمعرض جماعة الفن المعاصر(عام١٩٤٧) :** دار خدمة الشباب ٧ شارع سليمان باشا القاهرة، مجموعة خاصة محفوظة لدى أسرة الفنان عبد الهادى الجزار بالقاهرة.
٨. **الكليم: مقال بعنوان؛ "إبراهيم مسعودة"،عدد أول مارس ١٩٥٥.**
٩. **ليتو ابراهيم نونو: "رقى الطائفة يكون بالتعليم"، الإتحاد الإسرائيلى،١٩٢٨/١٢/١٨.**
١٠. **وزارة الثقافة؛ قطاع الفنون التشكيلية:** معرض القاهرة٢٠١٦(منشور دعائى): "حين يصبح الفن حرية؛ السرياليون المصريون(١٩٦٥-١٩٣٨)"-بتاريخ٢٨ سبتمبر بقصر الفنون.

11. Aime Azar: "La Peinture Moderne en Egypte", Cairo, Les Editions Nouvelle, **Press1961.**

12. Aime Azar: "l'eveill de La Conscience Picturale En Egypte",2nd press, 1954.

13. Andrew T. Young: "Atmospheric Optics Glossary", (http://aty.sdsu.edu).

14. Andy Young: " An Introduction to Mirages", (http://aty.sdsu.edu/mirages/mirintro.html), © 1999

15. BASSATINE NEWS: ISSUE No. 12.

16. David K. Lynch & William Livingston:" Color and Light in Nature "(2nd ed.). Cambridge, UK: ,Cambridge University Press2001.

17. Leon J. Weinberger: Moses Dar´i, Karaite Poet and Physican, The Jewish Quarterly Review,Vol. 84, No.4 University of Pennsylvania Press. Apr., 1994.

18. Murūd al-Qudsï: "The Karaite Jews of Egypt, 1882-1986", USA,2nd Press 2006.

19. Samir Gharieb: "Surrealism in Egypt and Plastic Art", Prism Art Series3, Press 1986.

20. **Simon Szyszman: "Le karaïsme: ses doctrines et son histoire", Bibliotheca Karaitica, Seri**es A, Press1980.